بيّنات

لقد أرسلنا رسُلَنا بالبيّنات وأنزلنَا معهم الكتابَ والميزان ليقومَ الناس بالقسط

عاشوراء

حركة الإصلاح في الأمة

مفهوم الإصلاح في الثورة الحسينيّة

عاشوراء واستنهاض الأمّة

ربيع الثورات والأزمات

إحياء عاشوراء في مسجد الإمامين الحسنين(ع)

وتعود عاشوراء.. موعداً يتجدد مع الأيام، لنبقى في رحاب الحسين(ع) الذي فتحت عقولنا على ثورته، كما فتحت قلوبنا على حبّه، وزرعت في أجيال الأمّة روح الحسين(ع) الذي عشت كل حياتك معه، فكانت كلها إسلاما، وجسدت حركته وجهاده في نهجك مسيرتك. رحلت عنا جسداً، لكن حضورك يكبر ويزداد سطوعاً في أجيال الأمة التي نهلت من معين فكرك وعلمك.

.. ويبقى مسجدك منبر الوعي في الأمة، وصوت الوحدة في زمن الفتن الزاحفة كقطع الليل المظلم، فقد علمتنا كيف نفهم الحسين(ع) وكيف نحيا ثورته حركة إصلاح على مستوى الأمة كلها، فقلت لنا: فكّروا في قضايا أمّتكم من خلال الإسلام الذي حمله رسول الله(ص)، وأصلحوا ما فسد فيها، فكّروا في قضايا الأمّة، حتّى يكون كلّ واحد منكم مسلماً يحمل همّ الإسلام كله، وهمّ المسلمين كلهم.. لا تعيشوا عصبيّةَ الذات أو العائلة أو الوطن أو عصبيّة القوميّة.. عيشوا رساليّة الإسلام في كلّ المساحات الإنسانيّة التي للإسلام فيها قضيّة، وللرّسالة فيها خطّ، وللإنسان فيها انفتاح.

علمتنا، كيف نحيا عاشوراء الإسلام، لتبقى متحرّكة في كلّ الأجيال صرخةً للحرية والعدالة، عندما ينطلق الذين يستعبدون النّاس ليفرضوا عليهم العبوديّة، أو الّذين يظلمون النّاس ليفرضوا عليهم الظّلم..

لقد علمتنا طريق عاشوراء... ونحن نجدد لك العهد اننا سنبقى في طريق الإسلام وفي طريق الحسين(ع).

تقرير مفصل للهيئة الشرعية في مؤسسة المرجع فضل الله

هلال شهر محرّم الحرام ١٤٣٣

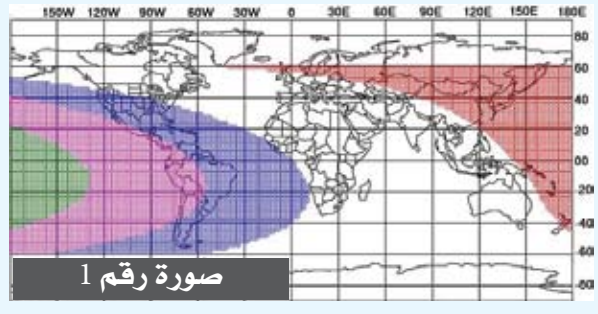

صورة رقم 1

صورة رقم 2

أعلنت الهيئة الشرعيّة في مؤسسة سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله(رض)، أن يوم السبت الواقع في ٢٦ تشرين الثاني لعام ٢٠١١م هو أول أيام شهر محرم الحرام لعام ١٤٣٣هجرية، وذلك بحسب المبنى الفقهي لسماحة العلامة المرجع فضل الله (رض)، سائلةً المولى ان يوحد كلمة المسلمين، وأن يوفقهم لإحياء مناسبة عاشوراء الإمام الحسين (ع) باستلهام الحرية والعزة والوحدة في مواجهة كل الأخطار على الإسلام والمسلمين.

وجاء في التقرير:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَبِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾سورة البقرة ، الآية ١٨٩ .

يولد هلال شهر محرّم لعام ١٤٣٣ – بمعنى حصول الإقتران المركزي – نهار الجمعة في الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني ٢٠١١، في الساعة ٠٦:٠٩صباحاً وبحسب التوقيت العالمي أي في الساعة ٠٨:٠٩ صباحاً بحسب توقيت مدينة بيروت الشتوي .

وفي مساء هذا اليوم (أي ٢٥ تشرين الثاني ٢٠١١) لا يمكن مشاهدة الهلال في أفق مدينة بيروت مع أن الهلال الجديد يمكث بعد غروب الشمس بنحو العشر دقائق ، لكن يمكن رؤيته في بعض مناطق أميركا الجنوبية بالعين المجردة وفي جزر بولينيزيا بسهولة ، بل قد يرى بالعين المجردة أيضاً في العديد من بلدان أميركا الوسطى ، وفي الطرف الغربي من قارة أفريقيا ، كما هو موضح في الرسم رقم (١) .نعم مساء اليوم التالي أي السبت ٢٦ تشرين الثاني ٢٠١١ يمكن مشاهدته وبسهولة في أي مكان من مناطق العالم باستثناء بعض المناطق الشرقية كما هو موضح في الرسم رقم (٢) .

وبناءً على ذلك ، وبحسب المبنى الفقهي لسماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله (رضوان الله تعالى عليه) الذي يرى ثبوت الشهر القمري بولادة الهلال وقابليته للرؤية في أي منطقة من العالم فيثبت بذلك في سائر المناطق التي تشترك مع منطقة الرؤية (أو إمكانية الرؤية) بجزء من الليل، وعليه يكون بداية شهر محرم الحرام لعام ١٤٣٣هجـ يوم السبت الواقع في ٢٦ تشرين الثاني لعام ٢٠١١م بالنسبة للمناطق التي تشترك مع مناطق الرؤية بجزء من الليل ويكون يوم الأحد بالنسبة للمناطق الباقية.

نسأل الله تعالى أن يوحد كلمة المسلمين على الخير والتقوى، وأن يوفقنا لإحياء مناسبة عاشوراء الإمام الحسين (عليه السلام) باستلهام الحرية والعزة والوحدة في مواجهة كل الأخطار على الإسلام والمسلمين.

السيّد علي فضل الله في استقبال عددٍ من خطباء المنبر الحسيني:

عاشوراء موسم الوحدة الإسلامية.. والساعون للتفرقة خائنون للأمّة

أكّد العلامة السيّد علي فضل الله، أنّ كلّ من يعمل لإخراج عاشوراء من أصالتها الإسلاميّة، أو يقدّمها بطريقة مذهبيّة وعشائريّة، يخون الخطّ الإسلاميّ، ويرتكب جريمةً بحقّ الأمّة كلّها، مشدّداً على أن يكون موسم عاشوراء هو موسم الوحدة الإسلاميّة الّتي تعني الانطلاقَ من رفض التّعاطي مع المسلمين كأصحاب مشاريع متعدّدة، بل كأمّة لها مشروع واحد، هو مشروع حماية الإسلام على مستوى العالم، داعياً إلى الاحتفال بالسّنة الهجريّة الجديدة، وشرحِ معاني الهجرة الّتي لا تبتعد عنها عاشوراء في الخطّ والقيمة والعنوان العام، مؤكّداً رفض الغلوّ والخرافة وكلّ سعي لإثارة المذهبيّة والعصبيّة في عاشوراء.

جاء ذلك في خلال استقبال سماحته عدداً من خطباء المنبر الحسيني، حيث تحدّث حول معاني عاشوراء، ومسؤوليّة العلماء في كيفيّة إحيائها. وجاء في كلمته:

إنّ المسؤوليّة الإسلاميّة تقتضي منّا في كلّ موسم من مواسم عاشوراء أن نحترم هذه المناسبة، من خلال احترامنا ومحبّتنا للإمام الحسين(ع) والشّخصيّات الّتي استشهدت بين يديه، انطلاقاً من قول الرّسول الأكرم(ص): «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، فالحسين(ع) يمثّل إمامةً إسلاميّةً على مدى السّاحة الإسلاميّة كلّها، فليس من الطبيعيّ أن تُقدّم عاشوراء على أساس أنّها تمثّل فئةً معيّنةً من المسلمين، وبالتّالي، فإنّ الوفاء للحسين(ع)، يقتضي منّا الاحتفال بعاشوراء إسلاميّاً، بعيداً عن كلّ العناوين المذهبيّة، وأن لا نستحضر التّاريخ الإسلاميّ في إنجازاته أو إخفاقاته على الطّريقة العشائريّة، بل أن نقرأه قراءةً صحيحةً وواعيةً ومتوازنةً وحكيمة، ترصده من خلال القاعدة القرآنيّة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾(يوسف: ١١١)، لنأخذ العبرة من كربلاء، فنكون مع خطّ الإصلاح في الواقع الإسلاميّ ضدّ خطّ الظّلم، كائناً من كان المصلحون، وأيّاً كان الظّالمون...

أضاف: إنّ من أخطر الأمور في المناسبات الإسلاميّة، وفي موسم عاشوراء تحديداً، أن تقتحم الخرافة السّاحة، وأن يدخل الغلوّ إلى هذا الموسم بحجّة حماية تراث أهل البيت(ع)، لأنّ تراث أهل البيت هو تراث التّوحيد الصّافي والخالص الّذي لا يمكن أن يبرّر للخرافيّين والمغالين نهجهم وحركتهم ومواقفهم الّتي تدمّر الواقع الإسلاميّ، فضلاً عن تزييفها

وتشويهها للصّورة الإسلاميّة الّتي حرص أهل بيت النبوّة(ع) أن يؤكّدوها في سيرتهم وكلماتهم ومواقفهم...

ورأى سماحته أنّ كلّ عمل أو خطاب يُخرج عاشوراء من أصالتها الإسلاميّة ومن كونها حركةً إصلاحيّةً داخل الواقع الإسلاميّ، أو يحاول أن يقدّمها في الإطار المذهبيّ الضيّق، أو بطريقة خرافيّة وعشائريّة وما إلى ذلك، يمثّل خيانةً للخطّ الإسلاميّ، وجريمةً بحقّ الأمّة كلّها.

وأكّد أنّ موسم عاشوراء ينبغي أن يكون موسم الوحدة الإسلاميّة الّذي ينفتح فيه الخطباء على مشاكل الأمّة، ليُصار بعد تشخيص الدّاء، ورؤية الأزمة الّتي تعصف بها، إلى وضع الإصبع على الجرح، والتّأكيد أنّ الأعداء نفذوا إلينا من خلال عصبيّاتنا وأحقادنا الّتي استغرقت في الجانب المذهبيّ إلى أبعد الحدود، على حساب الجانب الإسلاميّ العام الّذي ينبغي علينا جميعاً أن نعمل لحمايته وصيانته، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالوحدة الإسلاميّة الّتي تعني عدم التّعاطي مع المسلمين كفئات متقاتلة ومتناحرة، بل كأمّة واحدة تسعى إلى طاعة الله ورضوانه، وتعمل في نطاق مشروع واحد، هو مشروع حماية الإسلام على مستوى العالم كلّه...

وشدّد سماحته على خطباء المنبر الحسينيّ، وكلّ من يقف في موقع المسؤوليّة الثّقافيّة والفكريّة في هذا الموسم، أن يركّزوا الحديث حول السنة الهجريّة الجديدة الّتي تبدأ نهار السّبت القادم، وأن يعملوا على شرح معاني الهجرة، وأنّ الرّسول(ص) أراد من خلالها أن يحمي الإسلام ويركّز قواعده في الأرض الجديدة، وأنّ عاشوراء تنفتح على الهجرة، لأنّها حركة ونهضة وثورة لحماية الإسلام في الواقع وفي الامتداد المستقبلي.

.. وفي استقبال وفد من الجماعة الإسلاميّة:

الحوار يبقى ضمانة الوحدة وحصانة الأمّة من مشاريع التّفتيت

استقبل العلامة السيّد علي فضل الله، وفداً من الجماعة الإسلاميّة، ضمّ وائل نجم، بسام غنوم، وعمر المصري، حيث جرى التّداول في الشؤون اللّبنانيّة، والتطوّرات المتسارعة على الساحة الإسلاميّة بشكل عام.

وأكّد سماحة السيّد أهميّة دور الجماعة الإسلاميّة في مسعاها الوحدويّ، والحاجة إلى هذا الخطاب الانفتاحيّ المتوازن، وخصوصاً في هذا الظّرف الّذي يجب أن نستنفر لأجله كلّ الطّاقات والإمكانات لتعزيز الوحدة الوطنيّة والإسلاميّة، وهو أمر يحتاج إلى مساعي مخلصة وصادقة وحريصة على مستقبل العرب والمسلمين،

لقطع الطّريق على قوى خارجيّة وداخليّة تدفع لإدخال لبنان والمنطقة في أتون الصّراعات الطائفيّة والمذهبيّة..

ودعا سماحته إلى الحكمة في التّعامل مع الاختلافات الّتي يجب أن تخضع للتّدارس والتّباحث والنّقاش، مشدّداً على أهميّة الحراك الشّعبيّ وضرورة ترشيده ومواكبته، ولا سيّما أنّ هناك من يسعى لسرقة الثّورات وحرفها عن وجهتها الصّحيحة، بحيث يستفيد منها أعداء الشّعوب والأمّة..

وختم سماحته بالتّأكيد على ضرورة الإجابة عن سؤال: ماذا بعد؟ وذلك من خلال الالتفات إلى المصلحة العامّة لشعوب هذه المنطقة.. ونبّه إلى ضرورة تكاتف الحركات الإسلاميّة وتعاونها، وإبقاء البوصلة العربيّة والإسلاميّة موجّهةً ضدّ الصّهيونيّة والاستكبار العالميّ...

وأثنى الوفد على مواقف السيّد فضل الله الإسلاميّة والوحدويّة، وخصوصاً في هذه المرحلة الدّقيقة الّتي تجتازها المنطقة العربيّة، لافتاً إلى أهميّة الابتعاد عن الخطاب الانفعاليّ الّذي يأخذ السّاحة إلى خطوط التوتّر الطّائفيّ والمذهبيّ، وذلك في ضوء ما يُحاك للمنطقة من مشاريع تفتيتيّة، مبدياً الحرص على أهميّة التّعاون والتّكامل بين الحركات والشّخصيّات الإسلاميّة الّتي يجب أن تعتبر أنّ وحدة السّاحة، كما المقاومة، هي خطٌّ أحمر لا يجوز تجاوزه، فيما الاختلافات يجب أن تخضع للغة التّواصل والحوار، حفظاً لكلّ قضايانا الكبرى.

السيد علي فضل الله شدّد من جبيل على نبذ ثقافة التعصب:

لنحصّن البلد باللّقاءات الحواريّة المنتجة والخطاب المسؤول

أكّد العلامة السيّد علي فضل الله، ضرورة تحصين البلد إزاء العواصف التي تهبّ على المنطقة، مشيراً إلى أهميّة استخدام الخطاب الهادئ والمسؤول على المستوى السياسي، وإلى اعتماد اللّقاءات الحواريّة المنتجة في سبيل تحقيق ذلك.

أحيت عائلة أبي حيدر، الذّكرى السنويّة الأولى لرحيل عميدها المرحوم عبد العزيز أبي حيدر، في احتفال تأبينيّ أقيم في صالة مار يوحنّا في مدينة جبيل، حضره العلامة السيّد علي فضل الله، ممثّل البطريرك مار بشارة بطرس الرّاعي، الخوري عبدو أبو كسم، النائب عباس هاشم، قائمقام جبيل نجوى سويدان، رئيس بلدية جبيل زياد حواط، القاضي الشيخ يوسف عمرو، الشيخ غسان اللّقيس، وعدد من الفعاليات الاجتماعية والدينية والثقافية والأدبية والبلدية..

بداية مع آي من الذّكر الحكيم، ثم النشيد الوطني اللّبنانيّ، ثمّ كانت كلمات لكلّ من النائب عباس هاشم، الدّكتور محمد نديم الجسر، رئيس بلديّة جبيل زياد حواط، وقد أشادت الكلمات بمزايا الراحل ومناقبيّته.

ثم تحدّث العلامة السيّد علي فضل الله، مشيراً إلى مواقع اللّقاء بين اللّبنانيّين التي أكّد أنّها مواقع كثيرة، معتبراً أنّ جوهر الأديان واحد، وأنّ القيم الرّساليّة واحدة، وأنّ علينا

أن نعمل جميعاً للحفاظ على منظومة القيم، لما تمثّله من حصانة كبرى للمجتمع اللّبناني عموماً، على الرّغم من المشاكل والعواصف الّتي يعيشها البلد وتعيشها المنطقة.

وتطرّق سماحته إلى ما يجري من خطاب سياسيّ يثير الانقسامات، وإلى بعض المشاهد

والنّماذج التي تؤكّد عقليّة الانقسام، داعياً إلى خطاب وحدويّ جامع يأخذ بعين الاعتبار القيم السّامية للرّسالات السماويّة والمصلحة العامّة للّبنانيّين، مشيراً إلى نموذج الحوار والتّعايش الذي انطلق ميدانيّاً في جبيل، وأهميّة تعميمه على المناطق والمواقع كافّة.

وشدّد سماحته على نبذ ثقافة التعصّب والتفرقة، داعياً الجميع إلى تحمّل مسؤوليّاتهم، وخصوصاً في هذه المرحلة، الّتي يبدو فيها لبنان كساحة مفتوحة على تطوّرات المنطقة، مشيراً إلى ضرورة تحصين البلد بلقاءات حواريّة منتجة وخطاب سياسيّ هادئ ومسؤول..

مؤسسة «الهادي» تحتفل باليوم العالميّ للمعوّقين

احتفلت «مؤسّسة الهادي للإعاقة السمعيّة والبصريّة واضطرابات اللّغة والتّواصل» باليوم العالمي للمعوّقين، الّذي يُصادف في الثّالث من شهر كانون الأوّل ، وذلك بحضور حشد من طلاب المؤسسة وأهاليهم، إضافة إلى عدد كبير من طلاب المدارس الأخرى، الذين تمّت دعوتهم بهدف التعرّف إلى الطلاب المعوّقين، ومشاركتهم احتفالهم، وتحسّس أوضاعهم.

وقد استهلّ الحفل بتلاوة قرآنيّة للطالب المكفوف علي يونس، ثم قدّمت فرقة الهادي الفنيّة، باقة من الأناشيد المتنوّعة، بقيادة عازف العود أحمد نظام، ومنها نشيد خاص أعدّه طلاب المؤسسة، لسماحة المرجع السيّد محمد حسين فضل الله(ره)، واعتبروه تحية وفاء لروحه المقدّسة. كما أنشدوا قصيدة «رحماك في روح أمّي»، التي كتبها المرجع الراحل(ره) في ذكرى وفاة والدته.

وقد تخلّل الحفل عرض فيلم وثائقيّ بعنوان «قصّة حياة»، يستعرض إنطلاقة «مؤسسة الهادي»، في العام ١٩٨٨، بمتابعة واهتمام من سماحة السيّد(ره) الذي كان يحمل همّ الإنسان كلّه، وخصوصاً الفئات الفقيرة والمستضعفة والمحتاجة، حيث لعبت مؤسساته دوراً رائداً على مستوى تلبية احتياجات المجتمع، في ظل واقع غياب الإهتمام الرسمي، رغم الحالات الكثيرة التي تحتاج الى الرعاية المتخصصة.

كما قدمت فرقة «الهادي» للمسرح الإيمائيّ، والتي تضم مجموعة من الطلاب الصمّ في المؤسّسة، مسرحيّةً بعنوان «لوين؟»، من تأليف وإخراج فراس حليمة، تتناول «العنف ضدّ المرأة»، وهو الموضوع الذي كان لسماحة المرجع فضل الله، فتاوى شرعيّة حاسمة تحرّمه.

..هكذا يعبّر طلاب مؤسسة الهادي مرّة جديدة، عن إرادتهم القوية في إبراز طاقاتهم وتأكيد حضورهم في المجتمع، ليؤكدوا انه في حال تواجد الرعاية والإهتمام المؤسساتي، فإن الطلاب المعوّقين قادرون على أن يكونوا مبدعين كأقرانهم من بقية الطلاب، في جميع المجالات، الأمر الذي يؤكد ضرورة إيلاء مزيد من الإهتمام الرسمي، بدعم المؤسسات الخيرية التي تهتمّ بهذا القطاع من المجتمع، والتي لولاها، لكانت ظروفهم أكثر قسوة وصعوبة.

يوم التّضامن الرّوحيّ الوطنيّ:

الحوار هو التّعبير الطّبيعيّ عن إنسانيّتنا وإخلاصِنا للحقّ

في يوم التّضامن الرّوحيّ الخامس الّذي نظّمته «مؤسّسة أديان» تحت عنوان «ثابتون معاً في مسيرة الحوار والتّضامن الرّوحيّ»، بالتّعاون مع مركز «لقاء» البطريركي في الرّبوة، والّذي شارك فيه سماحة السيّد جعفر فضل اللّه، وكلّ من: السّفير البابويّ غابريال كاتشيا، المطران جورج خضر، الشّيخ سامي أبي المنى، مدير «مركز لقاء» الأب غابي هاشم، رئيس مؤسّسة أديان الأب فادي ضو، وحضرته قيادات روحيّة لبنانيّة وشخصيّات دينيّة من مصر وسوريا والنّمسا..

وقد ألقى سماحة السيّد جعفر فضل اللّه كلمةً جاء فيها: «يضيق الحَوارُ، وتضيق كلّ آفاقه، وتتحجّم نتائجُه، وتخلد روحُه إلى الأرضَ، عندما يكون الحوار تعبيراً عن صراع بين الذّات والآخر؛ إذ يتحوّل الحوار إلى نوْع من الجدَل، وتسجيل النّقاط عبر التّراشق بالعلم أو الجهل، بالقيمة أو بضدّها؛ لا مشكلة! لأنّ الهمّ أن تنتصر الذّاتُ، بعَصبيّتها وأنانيّتها، وكلّ الموروث الّذي قد لا يصمدُ أمام النّقد، ولا أمام الشّكوك الّتي تطرأ في أفق النّفس بفعل الاحتكاك بالحياة في كلّ أبعادها.

إنّ للذّاتِ نوازعَها الّتي قد تشدّ الإنسان إلى خلاف فطرته، ولها شهواتُها الّتي قد تحرفه عن الصّواب، ولها تخلفها الّذي قد يشوّه الحقّ لصالحه، ولها شعورُها بالأنا المثقلَة بكلّ الحواجز الّتي تشوبُ نيّة الإخلاص للحقّ والحَقيقة.

من هنا، أعطى اللّه تعالى للإنسان قاعدة الحوار الإنسانيّ، عندما قال لرسوله محمّد(ص) أن يقول للكافرين في رسالته: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(سبأ: ٢٤)، وقناعة الرّسولِ بما عندهُ تمثّلُ الوضوح الكامل الّذي لا يشوبُهُ شكّ، ومع ذلك، يقول اللّه لرسوله، ومن خلاله للإنسان كلّه: لتكنْ روحيّة الحوار لديك مرتكزة على الإخلاص للحقّ، النّابع من حبّك للّه، الّذي يمثّل الحقّ الثّابتَ في هذا الوجود: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾(الحجّ: ٦٢)، وعندئذ، سيَكون الحَوارُ اختبَاراً لمدى وجود الحقّ في فكرك، والصّواب في مواقفك، والعدل في حكمك...

عندما تغيبُ الذّاتُ بكلّ أنانيّاتها وعصبيّاتها، وتخرجُ أفكارَها إلى حقل التّداول مع الآخر، عبر الدّليل والبُرهان، فإنّ الحوارَ لن يكونَ مكبّلاً حتّى بالموروث الثّقافيّ والفكريّ الّذي تحمله، ولا بالأفكار الّتي مثّلت قناعات أنتجت في ظرف تفكير آنيّ... وعندئذ، لن يكونَ للحوار مدى مغلَق، بل يُنفتح الحوار انفتاح الإنسان على اللّه، منبع الحقّ والحقائق، وسيختبرُ الإنسانُ عبرَ الآخر مدى اقترابه من كمال الصّورة؛ لأنّنا ـ نحن المحدودين في الزّمان والمكان ـ ننتجُ من خلال خصوصيّاتنا الّتي قد ترى جزءاً من الصّورة تحسبُها كلّ الصّورة.

هنا لا يبدو الحوارُ خياراً يختارُه الإنسان أو يتركُه؛ بل هو سيرورةٌ علميّة لا غنى عنها في مسيرة تشكيل المعارف والقناعات؛ لأنّ كلّ فكرة لدى الآخر هي احتمالٌ في مقابل العقل الّذي يختبر حقّانيّته عبر الدّليل والبُرهان، الّذي قد يثبتُه أو ينفيه.

وهنا يبدو الحوار هو التّعبير الطّبيعيّ عن إنسانيّتنا، وعن تواضعنا، وعن إخلاصنا للحقّ الّذي قد يخالفُ أهواءنا، أو ما ألفَناه واعتدناه في مجتمعاتنا وثقافاتنا وأديانِنا المتنوّعة.

وهنا تنفتحُ ـ عبر العقل ـ كلُّ آفاق الرّوح في اختباراتها الحياتيّة للوصول إلى نقطة البداية، حيثُ اللّه في عليائه وقدسه وملكوته».

لقاء تكريميّ لرئيس الجامعة اللّبنانيّة الدّكتور عدنان السيّد حسين

بدعوة من مؤسّسة الفكر الإسلامي المعاصر والمركز الإسلامي الثّقافي، أقيم لقاء تكريميّ لرئيس الجامعة اللّبنانيّة معاليّ الدّكتور عدنان السيّد حسين، في قاعة المركز الإسلامي، في مسجد الحسنين(ع) ـ حارة حريك، بحضور سماحة السيّد جعفر فضل اللّه، ومجموعة من الفعاليّات الثّقافيّة والتربويّة والاجتماعيّة، والأساتذة الجامعيّين.

وقد تحدّث الدّكتور نجيب نور الدّين مشيداً بالدكتور السيّد حسين، الرجل العصاميّ شقّ طريقه بجهد فرديّ واجتهاد شخصيّ وعزيمة كبيرة، حيث عبر كلّ المراحل بصبر وثبات، مشيراً إلى تحمّله العديد من المسؤوليّات والمهام، ومنها مسؤوليّة الإشراف العام على الموسوعة الفكريّة التي تعدّها مؤسسة سماحة العلّامة المرجع السيّد محمد حسين فضل اللّه(ره)، والتي تتناول الفكر الإسلامي التجديدي لسماحته.

ثم ألقى سماحة السيّد جعفر فضل اللّه كلمةً أشاد فيها بمناقبيّة الدّكتور السيّد حسين، مشيراً إلى أنّه لم يزحف إلى المناصب، بل هي الّتي زحفت إليه، وتحدّث عن العلاقة الخاصّة الّتي كانت تربطه بالمرجع الرّاحل السيّد محمد حسين فضل اللّه، وما كان يكنّه المرجع فضل اللّه للدّكتور السيّد حسين من احترام وتقدير، كما تحدّث عن التحدّيات الّتي تواجهه، داعياً إلى تطوير الجامعة اللّبنانيّة.

وبعد عدّة مداخلات، تحدّث الدّكتور عدنان السيّد حسين، فشكر هذه البادرة التكريميّة، وتحدّث عن علاقته بسماحة المرجع السيّد محمد حسين فضل اللّه(رض)، الّذي كان حريصاً على الوحدة الوطنيّة والإسلاميّة، وأشاد بفكره الموسوعيّ قائلاً: إنّ لبنان يواجه العديد من المشاكل والتحدّيات، وأهمّها تراجع فكرة الدّولة، وغياب المحاسبة والشفافية، وضعف أداء المؤسّسات، مؤكّداً دور الجامعة إلى جانب مؤسّسة الجيش لتوحيد الوطن وتعزيز الانتماء الوطني.. وفي ختام اللّقاء، تم تقديم درعٍ تكريميّ للدّكتور السيّد حسين.

حوار عاشورائي مع العلامة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله:

مفهوم الإصلاح في الثّورة الحسينيّة

في حوار عاشورائيّ شامل، يتناول سماحة العلامة المرجع السيّد محمد حسين فضل الله(ره)، مفهوم الإصلاح في ثورة الإمام الحسين(ع)، متحدثاً عن أبعاد حركته، باعتبارها امتداداً للدعوة المحمديّة، وحركةً لتغيير الواقع الظالم. كما يتناول وسائل التعبير عن الحزن وأساليب إحياء الذكرى، حيث يدعو إلى التجديد في المنبر الحسيني ليكون منبراً إسلاميا يحمل كلّ قضايا الأمّة، ويوحّد المسلمين على حبّ أهل البيت، وعلى استلهام معاني الثورة الحسينيّة. كما يتحدث عن تأثير السيرة الحسينيّة في تكوين شخصيته، مؤكداً أن الحسين(ع) أعطاه الكثير من الفكر والعاطفة والحركة، وأنه سيبقى يمدّ كل العاملين لله، بكل ما يُثري العقل والقلب والروح والشعور في حركة الواقع...

الحسين(ع) وحركة التغيير:

ـ ينقل عن الإمام(ع) أنّه قال: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»، ما مستوى الإصلاح الّذي كان يطمح إليه الإمام(ع) هل هو منحصر في الإصلاح الحكمي أم يشمل الإصلاح السياسي والإصلاح الإقتصادي والاجتماعي والأخلاقي، وكيف يمكننا أن نستقرئ ذلك من خلال حركة الإمام(ع) وفي خطاباته؟

ـ لا بد قبل أن ندخل في تحليل أبعاد الإصلاح الذي أطلقه الإمام الحسين(ع) كشعارٍ لحركته في الأمة، أن ندرس شخصيّة الإمام الحسين(ع) في نطاق موقعه، فهو إمام الإسلام الذي يمثل الإنسان الذي لا بد له من أن يحرك الإسلام في مفاهيمه الرحبة الواسعة التي تشمل الحياة كلها، لتعالج قضايا الإنسان في عقيدته لتكون عقيدته في الخط المستقيم على أساس الحق الذي يبتعد عن الانحراف، وفي أخلاقيته لتنسجم مع المنهج الأخلاقي للإسلام، وفي حركة طاقته لتكون طاقاته منفتحة على العدل كله وعلى الخير كله وعلى الإنسان كله. لذلك فإن مسألة إمامة الحسين(ع) تعني أنه هو الشخصية المؤهلة لقيادة الواقع في كل قضايا الأمة، وعلى ضوء هذا نؤكد أن الإمام(ع) بعد أن قال: «خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»، أضاف: «أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»، والمعروف هو كل ما يرفع مستوى الإنسان في كل القضايا الفكرية والحركية التي ترضي الله، والمنكر هو كل ما يسقط مستوى الإنسان مما لا يرضي الله، فهاتان الكلمتان تتحركان على أساس شموليتهما للواقع كله، ولذلك جعلهما الله عنوانين للأمة في درجتها الرفيعة، وذلك في قوله تعالى «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»، باعتبارهما العنوانين الاستراتيجيين للإسلام في برنامجه الواسع للإنسان.

وهكذا نلاحظ في الخطبة التي روي أن الإمام الحسين(ع) بدأ بها حركته، عندما قال أيها الناس إن رسول الله(ص) قال: «من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً بعهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في بلاده بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على الله أن يدخله مدخله. إلا وإن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان وأحلوا حرام الله وحللوا حرامه وأستأثروا بالفيء وعطلوا الحدود وأنا أحق من غير».

إنه يتحدث عن التغيير، تغيير القيادة الفاسدة إلى قيادة صالحة تطبق الإسلام كله وتتحرك على أساس العدل كله، وتطرد الفساد في جميع مجالاته من الحياة، ومعنى ذلك أن الإصلاح الذي أطلقه الإمام الحسين(ع) عنواناً لثورته هو العنوان الشامل ليكون الإمام الحسين(ع) هو القيادة الفعلية من خلال أنه القيادة الشرعية، وإذا كنا نعرف أن القيادة الفعلية هي قيادة الأمة الإسلامية التي تأخذ بأسباب الإسلام فإننا نتفهم شمولية ذلك كله.

الدعوة الحسينيّة هي دعوة محمديّة تحاول أن تصحح المفاهيم الخاطئة الّتي دخلت على الذهنيّة الإسلاميّة في عناوينها الكبرى

لقد أعطاني الحسين(ع) الكثير من الفكر والعاطفة والحركة. وسيبقى يمد كل العاملين لله بكل ما يُثري العقل والقلب والروح والشعور في حركة الواقع

بين خط الرسول والمسار الحسيني

ـ المهدوي:

ـ هناك من يرى ثمة ارتباط بين واقعيات ثلاث بين الدعوة المحمدية المباركة والثورة الحسينية والثورة المهدوية، فما هو هذا الارتباط في رأيكم؟

ـ عندما نضع أمامنا في كل هذه العناوين الإسلام في حركته الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والحركية، فإننا نجد أن الدعوة المحمدية الأصيلة ليست قسماً لهاتين المفردتين بل إن الدعوة الحسينية هي دعوة محمدية تحاول أن تصحح المفاهيم الخاطئة التي دخلت على الذهنية الإسلامية في عناوينها الكبرى، وتعمل على تقويم الواقع الإسلامي الذي عرض عليه الانحراف ليستقيم على الخط الذي أراد الله له أن يستقيم عليه. وعلى هذا الأساس فإن الحركة الحسينية تتحرك في أجواء الدعوة المحمدية لتكون امتداداً حركياً لها في تقويم الواقع الذي تعيش فيه، كما أن الحركة المهدوية تمثل الحركة التي تقيم العدل كله بعد أن يسيطر الجور على الدنيا كلها. وإذا عرفنا أن الله قد أكد في كتابه المجيد على ان العدل يمثل القاعدة الأولى لكل الرسالات من خلال قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾. فإن المهدي (عج) يتحرك في خط تحريك واقع الإنسان على امتداد الأرض لمصلحة العدل الشامل للحياة كلها، باعتبار أن الرسالة الإسلامية انطلقت ليكون العدل للإنسان كله وللحياة كلها وهذا لم يتحقق على مدار مسيرة الإنسان منذ الدعوة المحمدية إلى اليوم، وذلك لأن العدل كان يتحرك في دوائر صغيرة وعلى ضوء هذا فإن الدعوة المهدوية جاءت لتكمل تحقيق الهدف الكبير الذي جاءت به الدعوة المحمدية من أجل أن يشمل العدل العالم كله وينفتح على الإنسان كله.

لا بد من أن تكون عاشوراء حركة تمتد في كل واقع الإنسان، لترصد الظلم كله، ولتنفتح على العدل كله، من أجل أن ترتبط بكل من يأخذ بأسباب العدل

دور العاطفة:

ـ ما هو دور العاطفة في عاشوراء، وكيف ترون التفاعل مع جانب المأساة فيها؟

ـ إننا نعتقد أن على الإنسان أن يتفاعل مع المأساة، ولا سيما إذا كانت المأساة ترتبط بشخصيات تملك القداسة الروحية الإسلامية، لأن دخول العاطفة في حركة الوجدان الإنساني يفرض أن تحتل المأساة مساحة في الشخصية الإنسانية الإسلامية الولائية، بحيث تتفاعل في الوجدان لتمتد في حركيتها على مدى الواقع الإنساني، وقد أراد الأئمة من أهل البيت(ع) أن تبقى العاطفة المتصلة بالقضية الحسينية مستمرة، حتى لا تجف ولا تجمد وتنتهي كما انتهى الكثيرٌ من الحركات في التاريخ، وجذور المسألة تتعلق في واقع التربية الإسلامية الإيمانية التي تريد أن تجعل علاقتنا بقياداتنا الإسلامية، سواءً كانت قيادة النبي(ص) أو قيادة الأئمة من أهل البيت(ع) مركبة من العاطفة والعقل، ومن الفكر والشعور، لأن الفكر والشعور أو العقل والعاطفة ليسا عنصرين منفصلين في الإنسان، بل هما ينطلقان من الوحدة الإنسانية التي يتداخل فيها العقل بالعاطفة، والعاطفة بالعقل، والفكر بالشعور، والشعور بالفكر. وهذا هو سر امتداد قضية الإمام الحسين(ع) في كل ذكريات عاشوراء، ويعود سبب ذلك إلى أن كل الأجيال عاشت الجانب العاطفي مع حركية الفكر على صعيد الواقع الجهادي المنفتح على قضايا الإنسان.

ومن جهة أخرى، هناك نقطةٌ مهمة في هذا الجانب وهي أن الذين يعيشون الجانب الشعوري في المأساة، في مأساة التاريخ، وخصوصاً تلك التي استهدفت موقعاً يملك كل القيمة الروحية والرسالية في مواجهته لحركة الواقع، فإن هذا الجانب الشعوري سوف يخلق في داخل الإنسان انفتاحاً على كل مآسي الإنسان الأخرى التي يريد فيها الطغاة أن يصنعوا المأساة لمصلحة الاستكبار والطغيان ولمصلحة الظلم والانحراف،

وذلك لأننا نعتقد أن إيحاءات عاشوراء في كل جيل من الأجيال إنما تطل بالإنسان على كل المآسي التي تحفل بها الحياة، كما هو الحال مع ما نعيشه في هذه الأيام من مآساة تتمثل في المجازر الإسرائيلية التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني، ما يجعلنا نشعر أن هناك أكثر من يزيد في هذا الواقع وهو ما نعيشه متمثلاً في الأطفال الذين يذبحون وفي النساء اللاتي تقتل، وفي الشيوخ الذين يقتلون وفي الدماء التي تنزف، ذلك أن الإنسان الذي التهبت مشاعره بعاشوراء لا بد من أن يجعل من عاشوراء حركة تمتد في كل واقع الإنسان لترصد الظلم كله من أجل أن تواجه كل ظالم، ولتنفتح على العدل كله من أجل أن ترتبط بكل من يأخذ بأسباب العدل.

وسائل التعبير عن الحزن:

ـ ما دمتم تحدثتم في إحياء الشعائر، هل هناك رؤى معينة وخطوات يمكن أن تجدد هذه الشعائر من جهة الإحياء؟

ـ إننا نعتقد أن منبر الحسين(ع) لا بد أن يكون منبراً للإسلام كله بحيث أن الخطيب الحسيني لا بد أن يكون مثقفاً ثقافة إسلامية واسعة، يستطيع من خلالها أن يمنح الثقافة الإسلامية للجمهور المسلم، وأن يحدث الناس عن الحسين(ع) وما يمثله من قيمة إسلامية ورمز إسلامي بما هو الرمز الإسلامي الحي للإمامة، وبذلك يستطيع أن نحقق ما أراد الإمام الحسين أن يحققه، وهو تأكيد مسألة القيادة السياسية للأمة، لتعيش الأمة مسألة القيادة كعنوان من عناوين حركتها في أن تختار القائد الذي ينفتح على قيم الإسلام، بدلاً من القائد الذي ينحرف عن هذه القيم، وأن تتفهم الناس قضايا الشهادة في حركيتها في الواقع لتميز بين الموقع الذي يفرضها وبين الموقع الذي لا يفرضها، وهكذا يتحول المنبر الحسيني إلى موقع ينطلق منه الخطيب لتصوير الواقع الذي يعيشه الناس مقارناً بالواقع الذي كان يعيشه الإمام الحسين(ع) والأئمة من أهل البيت بعده وقبله للتعرف على الخطوط التي تجمع بين مرحلتنا هذه وبين المراحل السابقة، ثم لا بد لنا من توثيق السيرة الحسينية لنطرد منها ما وضعه الوضاعون وما كذّبه الكذابون، لأن اعتبار المأساة أساسية في إثارة العاطفة لا يبرر لنا أن نكذب ولا يبرر لنا أن نضع الأحاديث، لأن المسألة كما قال لنا الإمام الصادق(ع): «وقليل الحق يكفي عن كثير الباطل».

لهذا لا بد للمنابر الحسينية أن تكون منابر تثقيف وتوعية وتحريك للواقع كله، وأن تكون منبراً للحق لا للباطل، أن تكون منبراً للعلم لا للجهل، وأن تكون منبراً للتقدم لا للتخلف وإذا أردنا أن نطور هذه المسائل فإننا نعتقد أنه من الممكن أن ندخل عاشوراء في الفن المسرحي مع المحافظة على الخطوط التي تحفظ لها قداستها، وهكذا نحتاج إلى أن ندخلها في عالم الرواية ثم في عالم التمثيل يمكن أن تُمثّل لتنشر في العالم كله، ويعرف العالم كله مسلمون وغير مسلمين، ما هي عاشوراء؟؟ وما هي أهدافها؟؟ وما هي قضاياها؟؟ كما أن علينا أن نستبدل ما يفعله بعض الناس من ضرب الرؤوس أو الظهور بالسلاسل لنجعل هذه الدماء النازفة من خلال التبرع بالدم لمساعدة الجرحى والمرضى الذين يحتاجون إلى دمائنا، وعندها تتم المشاركة في إنقاذ حياتهم، وهذا أفضل من هذه المناظر المتخلّفة التي تعطي عنواناً للتخلف، لأنها تسيء إلى صورة الخط الإسلامي في منهج أهل البيت(ع).

ولا بد في هذا المجال من التأكيد على عنوان حيوي، وهو أن كل ما فعله الناس من قبلنا، أو ممن يعيشون معنا في إحياء عاشوراء، إنما هو وسيلة من وسائل التعبير عن الحزن ونحن نعرف أن وسائل التعبير تتطور مع الزمن، ولهذا لا بد لنا من أن ندرس في كل مرحلة من المراحل الوسائل التي يمكن أن نحركها في قضية الاحتفال بالذكرى حتى تنسجم هذه الوسائل مع الأجيال التي ربما ترفض الوسائل القديمة لمصلحة الوسائل الجديدة. وهذا ما نلاحظه في استخدام أساليب العيش فقد غيّرنا الكثير من وسائل عيشنا، لأننا رأينا أن الوسائل التي كان يستعملها آباؤنا لم تعد تتناسب مع أوضاعنا، كذلك غيّرنا وسائل التعبير الأدبي، فلماذا لا نغير وسائل التعبير عن الحزن والتعبير عن الذكرى وما إلى ذلك.

> **لا بدّ للمنابر الحسينيّة من أن تكون منابر تثقيف وتوعية وتحريك للواقع كلّه، وأن تكون منبراً للحقّ والعلم، لا للباطل والجهل**

الدور السياسي:

ـ تطرح الكثير من المواكب العزائية، قضايا وعناوين سياسية وعامة، فما هي توجيهاتكم في هذا المجال؟

ـ نحن نؤيد تأييداً كبيراً جداً طرح القضايا السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي تهز العالم الإسلامي بل حتى تهز عالم المستضعفين، لأننا كما ذكرنا إن الإمام الحسين(ع) قال: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي»، فيتحدث عن الأمة التي تنحرف والأمة التي ترزح تحت ثقل الطغيان والأمة التي تعيش تحت تأثير الذين يسرقون ثرواتها ويستعبدون أشخاصها، كما قال الإمام الحسين(ع) في بعض كلماته «اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا»، لذلك فإن من الطبيعي جداً أن تنطلق المواكب الحسينية لتطرح القيم الإسلامية وتطرح الخطوط الأخلاقية، وتعالج المشاكل الاجتماعية والسياسية، وهو ما يجعلها تتحول إلى دعوة شعبية واعية متحركة يفهمها الناس بلغتهم وبطبيعتهم، فيعبرون عنها في الأهازيج الشعبية التي تخاطب المشاعر الإنسانية للرجل وللمرأة وللطفل وللشاب والشيخ. إننا نؤكد ذلك وقد كان المؤمنون في النجف وفي كربلاء في أيام الأربعين وفي أيام وفاة النبي(ص) يخرجون من سائر أنحاء العراق بالمواكب التي كانت تعالج الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية وحتى بعض الانحرافات التي تصيب الواقع الديني. وضمن هذا الإطار نقترح أن يملك الذين ينظمون الأشعار وينتجون الأهازيج ثقافة إسلامية شرعية وثقافة سياسية واجتماعية. إننا نعتقد أن هذه الأساليب تؤكد العناوين الكبرى لما استهدفته الثورة الحسينية من تغيير الواقع بالتخلي عن كل الخرافات التي لحقت بها.

> **أدعو كل شبابنا المثقف الواعي أن لا يفهموا الحسين(ع) شخصاً، ومأساةً تعيش في الذات، بل أن يفهموه رسالة تتحرك في الفكر والواقع**

لقد عشت حياتي مع الحسين(ع):

ـ لقد تفاعل العلامة المرجع السيد فضل الله مع الحسين(ع) ومع عاشوراء، فكرياً وحركياً.. وكذلك على مستوى الإثراء الأدبي، كيف أثرت السيرة الحسينية في صياغة شخصية السيد فضل الله، وما الذي استفاده منها؟

ـ لقد عشت طفولتي في النجف التي انفتحت فيها على المجالس الحسينية والمواكب الحسينية، وعشت مبكراً هذه الشمولية، وهذه الرحابة في الثورة الحسينية من جهة امتدادها الإسلامي في حياة الناس ووجدانهم، ولذلك كانت أول قصيدة لي قبل ما يقارب الثلاثة وخمسين سنة على المرقد الحسيني تؤكد عاشوراء الثورة وعاشوراء التغيير، وعاشوراء الإسلام. لقد عشت مع الإمام الحسين(ع) منذ انطلقت لأعيش مع الإسلام، لأنني أعتقد أن الإنسان الذي ينفتح على الإسلام الحركي في حياته لا بد أن ينفتح على الإمام الحسين(ع) في كل حركته التغييرية من أجل الإنسان كله، والإسلام كله، وإني أدعو كل شبابنا المثقف الواعي سواء كانوا في الحوزات الدينية أو غيرها، أن لا يفهموا الحسين شخصاً بل أن يفهموا الحسين رسالة، وأن لا يفهموا الحسين مأساة تعيش في الذات، بل أن يفهموا الحسين رسالة تتحرك في خط المأساة، حتى لا تكون المأساة شيئاً من الشعور، بل تكون المأساة شيئاً في الفكر وفي الواقع، لقد أعطاني الحسين(ع) الكثير من الفكر والعاطفة والحركة. وما زال الحسين(ع) يمدني ويمد كل العاملين لله بكل ما يُثري العقل والقلب والروح والشعور في حركة الواقع.

> **لقد عشت مع الإمام الحسين(ع) منذ انطلقت لأعيش مع الإسلام، لأنني أعتقد أن الإنسان الذي ينفتح على الإسلام الحركي في حياته لا بد أن ينفتح على الحسين(ع) في كل حركته التغييرية**

عاشوراء واستنهاض الأمّة

العلّامة السيّد علي فضل الله

نعود إلى كربلاء لنتنشّقَ من رحيق أرضها الطّاهرة أريج الشّهادة، وعبق الحرّيّة، ونسائم العنفوان الّذي تجسّد في كلّ هذه الصّفوة الطيّبة التي تمثّلت بالحسين(ع) وأصحابه وأهل بيته، الذينلم يعرفوا خوفاً ولا ضعفاً ولا تردّداً ولا هزيمة، بل كانوا مثالاً للإقدام والشّجاعة والتّضحية والفداء..

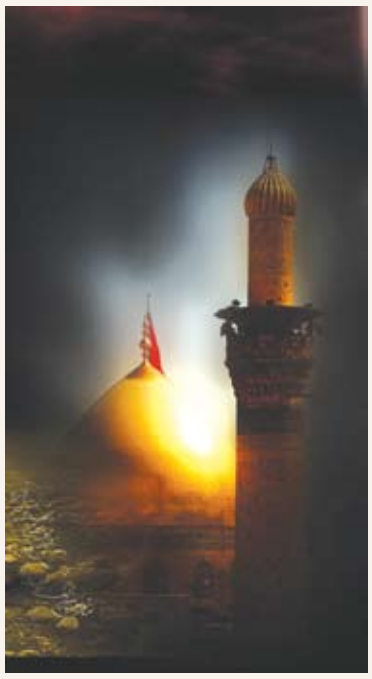

وضوح الهدف:

لقد كان هدف الثورة الحسينيّة واضحاً منذ البداية، حيث قال الإمام الحسين(ع): «أيّها النّاس، إنّي سمعت رسول الله(ص) يقول: من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهده، يعمل في عباده بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بقول أو فعل، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإنّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشّيطان، وتركوا طاعة الرّحمن، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، واستأثروا بالفيء وعطّلوا الحدود، وأنا أحقّ من غيّر»...

فالتّغيير هو هدفهم، والإصلاح لأمّة رسول الله هاجسهم، والعمل على أن تستعيد هذه الأمّة حضورها ونقاوة فكرها وصفاء أهدافها، هو الصّورة الّتي أرادوا الوصول إليها..

كان الحسين(ع) ومعه آله وصحبه، يعرفون حجم التّضحيات وفداحتها، وصعوبة الطّريق لتحقيق تلك الأهداف، وفي حين راهن يزيد وكلّ زبانيته على خوف الحسين(ع) ومن معه، وتراجعهم عن سعيهم تحت التّهديد بالموت، أو منعهم من لقمة العيش.. أو الحصار والوعيد بالسّبي للنّساء والأسر للأطفال، والتّنكيل بالأجساد، كما خاف الكثيرون عندما رفع في وجههم السّيف، وحجب عنهم الأعطيات، فتراجعوا وانهزموا، وخذلوا دينهم ومبادئهم، وخذلوا الحسين(ع) وكلّ وعودهم بالوقوف معه في مسيرته...

كان الحسين(ع) واعياً لخطورة أن تصل الأمّة إلى هذا المنحدر الخطير، أن يسقطها الخوف من الموت.. أو الخوف على مال أو موقع أو جاه، لأنّ ذلك سيجعل من هذه الأمّة أسيرة الّذين يملكون سلاحاً أو مالاً.. أو الّذين يملكون قدرة التّأثير في أعصابهم وحياتهم.

لذلك أراد الحسين(ع) وأصحابه وأهل بيته أن يقدّموا صورة بديلة عن أولئك المتخاذلين، وأن يكونوا نماذج يقتدى بها في المواقف الصّعبة، وهذا ما أشارت إليه كلّ الوقائع الكربلائيّة في ميدان المعركة.

وقد كان الحسين(ع) واضحاً منذ البداية، عندما جاءه والي المدينة ليقول له: بايع يزيد وإلاّ تقتل.. لم يخف الإمام(ع)، ولم يتراجع، وقال بكلّ جرأة: «إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرّسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق فاجر، قاتل للنفس المحترمة، ومثلي لا يبايع مثله».

وعندما توجّه الحسين إلى الكوفة، وفي الطّريق، جاءه نبأ استشهاد سفيره إلى الكوفة، وخذلان أهل الكوفة له، فلم يتراجع أو ينثنِ، وإنّما تابع المسير، ولم يهتزّ موقعه، رغم معرفته بالمصير الّذي سيواجهه.

درس كربلاء:

واستمرّت مدرسة الحسين(ع) تعطي عزّةً وعنفواناً، وتُسقطُ خوفاً وضعفاً وهزيمةً كان يُراد لها أن تغرس في النّفس...

وابتدأت الثّورات، فلم يعد الانحراف يمرُّ مرور الكرام، ولا القهر ولا الطّغيان بدون حسيب ورقيب، ولذلك تتالت، وبدأت عروش الطّغاة تهتزّ وتتساقط، وها هو الحاضر يشهد، والتّاريخ يُنبئ، لقد أسقط الحسين(ع) الخوف من القلوب، والرّعب من النّفوس.. والعبوديّة للظّالمين، مهما كانوا كباراً وطغاةً في الحياة...

فالخوف حالة إنسانيّة نجدها لدى الصّغير والكبير، وقد أشار القرآن الكريم إلى وجودها حتّى لدى الأنبياء والأولياء، وإن كانوا قادرين على تجاوزها والتغلّب عليها، بحيث لا تكون نقطة ضعف لديهم..

هذا الخوف قد يكون حاجةً، قد يكون ضروريّاً عندما يكون سبباً للحذر من المشاكل الّتي قد تواجه الإنسان في الدّنيا... ودرءاً لعذاب الآخرة وأهوالها، ولكنّ الخوف قد يكون هو السّبب في شلّ الكثير من القدرات وتجميدها، وخذلان الحقّ وهزيمته، وتقوية الباطل والظّلم والاستبداد ودعم أركانه... وعدم القيام بالمسؤوليّات والواجبات.. فكم من النّاس دفعهم خوفهم من الموت إلى ترك الدّفاع عن وطنهم وحريتهم، والوقوع في المواقف المذلّة؟!..

وكم أدّى الخوف من النّاس.. من كلامهم أو لومهم أو سخطهم، إلى ترك قول الحقّ ومداهنة الباطل والانحراف، وكم أدّى الخوف على الأموال والمواقع إلى تأييد ظالم أو مساعدة انحراف أو خذلان قضيّةٍ حقّ...

ولذلك، يتحدّث القرآن الكريم، أنّ من أبرز مهمّات أولياء الشّيطان أنّهم ينشرون الخوف والرّعب في النّفوس.. ﴿إنّما ذلكم الشّيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران: ١٧٥)..

> **مازالت مدرسة الحسين(ع) تعطي عزّةً وعنفواناً، وتُسقط خوفاً وضعفاً وهزيمةً يُراد لها أن تغرس في النّفوس**

التحرّر من الخوف:

إنّ علينا أن لا نسمح للخوف بأن يجمّد حركتنا، أن نقتحم الصّعوبات، وسنجد أنّنا نستطيع أن نفعل الكثير.. وهذا ما أشار إليه الإمام عليّ(ع) لولده محمّد بن الحنفية، عندما رأى منه خوفاً، قال له: «تزول الجبال ولا تزل.. عضّ على ناجذك.. أعر الله جمجمتك.. تد في الأرض قدمَك، وارمِ ببصرك أقصى القوم...».

ومن هنا، ورد في الحديث عن عليّ(ع): «إذا هبْتَ أمراً فقع فيه، فإنّ شدّة توقّيه أعظمَ مما تخاف منه».. لا تتوقّف عند الصّعوبات، اسعَ لاقتحامها، وستجد أنّ ما كنت تخاف منه ليس حقيقيّاً ولا واقعيّاً...

فقد كان عليّ(ع) الزّاهد في الدّنيا، يهزأ بالمخاوف، ويستهين بالمخاطر ويقول: «والله، لو اجتمعت العرب والعجم على قتالي، ما وليت منها فراراً».. «والله لابن أبي طالب آنس بالموت من أنس الطّفل بمحالب أمه».. وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين(ع): «إنّي لا أرى الموت إلا سعادةً، والحياة مع الظّالمين إلا برماً».

ويبقى بعد ذلك أن نخشى الله أكثر مما نخشى النّاس، وهذا ما أشار إليه الله لرسوله(ص) ليعلّمنا.. ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ (الأحزاب:٣٧).. ولذا ورد في الحديث: «طوبى لمن شغله خوفه عن خوف النّاس»..

التّأسّي ببطولة الحسين(ع):

إنّنا بحاجة إلى أن نؤكّد لأنفسنا كلّ البطولات الّتي تمتلئ بها صفحات تاريخنا، حتى تساعدنا على ترك الخوف الّذي بات يربك حياتنا، ولا سيّما في الواقع الذي نعيشه...

أن نستعيد صورة الحسين(ع) الّتي تحدّث عنها أحد أعدائه حين رآه في كربلاء، قال عنه: «ما رأيت مكثوراً قطّ قد قُتل ولده وأهل بيته وصحبه، أربط جأشاً منه، وإن كانت الرجال لتشدّ عليه فيشد عليها بسيفه، فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب».. أن نستعيد زينب وهي تقف بكلّ شموخ في كربلاء لتقول: «اللّهمّ تقبّل منّا هذا القربان».

هذه هي الصّورة الّتي ينبغي أن نحملها عن الحسين(ع).. لا الصّورة الضّعيفة الّتي يقدّمونها إلى النّاس، صورة الشّخصيّة الباكية الشّاكية، وكذلك الأمر بالنّسبة إلى زينب. الحسين هو ذاك الإمام القائد الّذي يسخر بالمنايا في سبيل الحقّ، وهو القائل: «والله لا أرى الموت إلا سعادةً، والحياة مع الظّالمين إلا برماً».

كان الحسين(ع) يحمل معاني الإنسانيّة بأعلى مراتبها، وفي الموقف الرّساليّ، كان صلباً قويّاً عزيزاً.. وهذا ما علّمه لأخته زينب عندما نعى نفسه، قال لها: «إذا أنا متّ في كربلاء، فلا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تشقّي عليّ جيباً، ولا تدعي بالويل والثّبور، ولا تشمتي بي الأعداء»..

لنعد إلى الحسين(ع)، إلى سرّ قوّته وعنفوانه، إلى دعائه الّذي يعبّر فيه عن عمق العلاقة بالله.. «اللّهمّ أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدّة، وكم من همّ يضعفُ به الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصّديق، ويشمت فيه العدوّ، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبةً إليك فيه عمّن سواك، ففرّجته وكشفته وكفيتنيه، فأنت وليّ كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهى كلّ رغبة»...

الخطاب العاشورائيّ في مواجهة التحريف

الشيخ حسين الخشن

هل يرتقي الخطاب العاشورائيّ إلى مستوى النّهضة الحسينيّة ومشروعها وحمل قيمتها الإنسانيّة ورسالتها الإسلاميّة؟ أم أنه خطاب يهدف إلى إبكاء الجمهور، مما يجعل الخطباء يتوسلون كلّ ما يستدرّ الدّمعة، بصرف النّظر عن صحّته أو عدم صحّته، مع كل ما لهذا الأمرِ من سلبيّاتٍ كثيرةٍ ونتائج خطيرة على الوعي وعلى صورة الإمام الحسين وهدفيّة ثورته؟

لهذا، لابدّ من تبيان المصادر غير المعتبرة للثقافة العاشورائيّة، والتي لا يمكن الإعتماد عليها، بخلاف المصادر المعتبرة للثّقافة الإسلاميّة، التي يأتي على رأسها القرآن الكريم، فهو المرجع الّذي تُحاكم على ضوئه كافّة المصادر، والسنّة النبويّة، التي تشمل السّيرة والتّاريخ الصّحيح، إذ لا بدّ من أن نتوثّق من الأخبار ، حتى تكون منسجمةً مع المفاهيم القرآنيّة، فعندما يقدّم لنا الخطيب حديثاً أو قصّةً فيها ما يهتك حرمة الإمام الحسين وينافي عزّته وكرامته، فيجب علينا رفضه، والتصدّي له، فلا نستسلم لكلّ ما يُلقى علينا.

وهناك الكثير من المصادر الّتي يعتمدها الكثيرون من الخطباء والمتكلّمين الحسينيّين، من قرّاء العزاء وغيرهم، والتي يمكن اعتبارها من المصادر غير المعتبرة في الثّقافة العاشورائيّة، ومنها:

الأخبار والرّوايات غير الموثّقة :

هذه الروايات ليس لها اعتبار فقهيّ، ولا اعتبار تاريخيّ، كما هو الحال في كثير من أخبار كتاب «أسرار الشّهادة» للدّربندي، أو غيره من الكتب الّتي يعتمدها بعض قرّاء العزاء، وينقلونها إلى النّاس دون تثبت، مع أنّ وجود الرّواية في كتاب معتبر ـ فضلاً عن أن يكون غير معتبر ـ ألّفه عالم جليل لا يعني أنّها معتبرة، كما هو الحال في روايات بحار الأنوار، حيث إنّ العلامة المجلسي هو نفسه لا يضمن صحّة أخبار كتابه، بل قد يقول: «وجدتُ في كتابٍ قديم»، فهو نفسه يشهد بأنّ مصادر كتابه ـ فضلا عن رواياته ـ ليست بأجمعها معتبرةً، ومجرّد أنّ الرّواية مذكورة في البحار أو غيره، لا يبرّر لك أن تأتي وتثقّف الناس بها..

ومن الغريب أنّ بعض الخطباء يسندون

> **عندما يقدّم لنا الخطيب قصّةً فيها ما يهتك حرمة الإمام الحسين، فيجب علينا رفضه، والتصدّي له**

بعض القصص والأخبار إلى «أرباب المقاتل» دون تثبّت، أو يقول لك: حدّثَ بعض الخطباء، فيصبح المصدر هو بعض الخطباء، خطيب ينقل عن خطيب؛ إنّ هذا ليس مصدراً معتبراً لنقل الرّواية ولبناء الثّقافة الإسلاميّة.

المنامات:

نلاحظ أنّ بعض الخطباء يكثر سرد المنامات على المنابر، ويستشهد بها ويثقّف الناس بها، فهل المنام حجّةٌ شرعاً، أو هل يمكن أن يشكّل مصدراً للثّقافة الإسلاميّة ؟

والجواب : إنّ منام النبيّ هو وحي، فعندما يرى النبيّ إبراهيم في منامه أنّه يذبح ابنه، فهذا وحي من الله، ولكنّ المنام الذي يراه المرء ليس حجّةً شرعاً، فالأحكام الشّرعيّة لا تؤخذ من المنامات. فقد ورد في الحديث عن الإمام الصّادق، عندما سئل عن بعض الأمور العباديّة الّتي رُئِيَتْ في المنام، فقال: «إن دين الله أعزّ من أن يُرى في المنام». ولذلك ينقل عن الشّيخ جعفر كاشف الغطاء: «إنّ الأحلام ليست شواهد الأحكام، باتّفاق علماء الإسلام».

أخبار العجائب والكرامات:

بدايةً ، لا بد ان نؤكد إنّنا نؤمن بمنطق المعجزة والكرامة، فالقرآن الكريم حدّثنا عن معاجز الأنبياء، فلا بدّ من أن نؤمن بذلك، ولا نتردّد فيه، فما نصّ عليه القرآن ـ مثلاً ـ نقبله بدون تردّد، لكن الّذي يحصل في كثير من الحالات هو التوسّع في نقل الكراماًت، والإسهاب في تثقيف النّاس بها، والاستشهاد بها بهدف إثبات حقانيّة عقيدتنا أو مذهبنا، ولذا يتمّ الحديث عن أنّ فلاناً حصل معه كذا، وفلاناً شفي في المكان الفلانيّ وما إلى ذلك؛ إن هناك عدّة ملاحظات على اعتماد هذا الأسلوب في التّثقيف العام:

١- إنّ التّقدير الإلهيّ أو القانون الإلهيّ، قضى أن يجري هذا الكون وفق منطق السّنن وليس وفق منطق المعاجز والكرامات، إنّ المعاجز، وكذا الكرامات هي استثناء، حتّى بالنّسبة إلى الأنبياء، والإسلام يعلّمنا أنّ الحياة لا بدّ من أن تسير وفق منطق السّنن، منطق العلّة والمعلوليّة، فالأمّة عندما ابتعدت عن الأخذ بمنطق السنن، وأصبحت تفتّش عن أدوية لأمراضها من خلال التّداوي بالقرآن أو بالأحراز، وتطلب النّصر بالدّعاء بدل إعداد القوّة، عندها تخلّفت وتأخّرت وأصبحت على هامش الأمم..

٢- لا بدّ من التوثق من هذه المعاجز أو الكرامات قبل أن تطرح على الرّأي العام، فعندما يأتي شخصٌ ويقول لك: هناك شجرة في المكان الفلانيّ، يرشح منها الدّم في العاشر من محرّم كلّ عام، فلا تقبل ذلك ببساطة وسذاجة، بل توثّق من الخبر.

٣- إنّ منطق الأمور العجائبيّة، ربما لا يكون هو المنطق السّليم لإحقاق الحقّ ودحض الباطل، فحقّانيّة الدّين أو المذهب، هي في امتلاكه الحجّة، واعتماده على المنطق، وإنّ قوّة المنطق في رسالة الحسين(ع)، هي الّتي تثبت حقّانيّة هذه النّهضة، وليس حصول عجيبة أو كرامة مع فلان أو فلان.

> **النقل بلسان الحال، كان مدخلاً لتسرّب الكثير من الأكاذيب إلى النّهضة الحسينيّة**

إنّ هذا الكلام لا يشكّل دعوةً إلى التّشكيك أو رفض كلّ ما ينقل إلينا من الكرامات، بل يجب التعامل مع هذا الأمر وفق القاعدة المعروفة المنقولة عن ابن سينا: «كلّ ما طرق سمعك فذره في بقعة الإمكان، حتى يذودك عنه قاطع البرهان». لكنّني في الوقت نفسه، أدعو نفسي، وأدعو غيري من الخطباء، إلى احترام عقول النّاس، وأن نثقّفهم بالثقافة المثمرة على أقلّ تقدير، فلا نطرح الأمور التي تثير انقساماً وبلبلةً في وسط من يستمع إلينا، وربما يسمنا الآخرون بالكثير من الصّفات السلبيّة.

الرواية بلسان الحال:

وهو أسلوب يكثر استخدامه على لسان الخطباء، حيث ينقلون الكثير من الأحداث والقصص والمحاورات بعنوان لسان الحال، أو بصيغة: كأنّي به يقول، ولكن السؤال الذي يطرح هنا: من الّذي يعرف لسان حال المعصوم ليحكي حاله؟! أنت عندما تريد أن تتكلّم بلسان حال إنسان، فلا بدّ من أن تكون ملمّاً بحاله ومشاعره وتطلّعاته، هذا في الإنسان العاديّ، فما بالك بالمعصوم؟ فإذا أردت أن تتحدّث عنه بلسان الحال، فإنّ عليك أن تعرف المعصوم معرفةً جيّدة، في فكره وعقله، وفي تطلّعاته ومشروعه، وفي مواصفاته السّامية، ومَنْ الّذي يجرؤ على القول: إنّه محيطٌ بحال الإمام الحسين، أو أنه ملمّ بما كان يفكّر فيه ويجول في خاطره ظهيرة العاشر من محرّم، حتى يتحدّث بلسان حاله؟! إنّ الكثير مما ينقل إلينا بلسان حال الإمام(ع) إنّما يحكي ويعكس لسان حال المتكلّم أكثر من لسان حال المعصوم. وقد كانت قضيّة لسان الحال، مدخلاً لتسرّب الكثير من الأكاذيب إلى النّهضة الحسينيّة، من خلال كثير من الأحداث الّتي لا أصل لها،كما في قصّة عرس القاسم، أو قضيّة وجود ليلى في كربلاء، وأنّها دخلت الخيمة ونشرت شعرها، ودعت قائلةً: يا رادّ يوسف... إلخ. إنّ هذه القضيّة لا وجود لها في أيّ مصدرٍ من المصادر، فالعلامة المجلسي، رغم تتبّعه، يقول: لم أجد أيّ نصّ عليها، وهكذا الشّيخ عبّاس القمّيّ، بل إنّ المحدّث النّوري يقول إنّ هذه القضيّة الّتي تحكي قصّة ليلى هي كذبٌ في كذب، فربّما طرحت هذه القضايا بلسان الحال، وأصبحت تُتلى على المنابر بكرةً وعشيّة، وبمرور الوقت، غدت حقيقة، ولعلّ الكثير من الأمور الّتي لا مصدر لها في النّهضة الحسينيّة، انتقلت بهذه الطّريقة.

الثّورة الحسينيّة ومشروع إصلاح الأمّة

الشّيخ حسين الراضي

تعتبر الثّورة الحسينيّة من أهم أسباب إصلاح الأمّة، إن لم تكن هي المشروع الإصلاحي لها، وقد قال الإمام الحسين بن علي(ع) في أوّل بيان له قبيل ثورته، وحينما أوصى أخاه محمّد بن علي، المعروف بابن الحنفية قال(ع): «إِنّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِراً وَلَا بَطِراً وَلَا مُفْسِداً وَلَا ظَالِماً».

مشروع الإصلاح:

وقد أوضح الإمام(ع) سبب خروج بقوله: «وَإِنّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلَاحِ فِي أُمّةِ جَدّي(ص)، أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدّي وَأَبِي عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِب، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقّ فَاللّه أَوْلَى بِالْحَقّ، وَمَنْ رَدّ عَلَيّ هَذَا أَصْبِرُ حَتّى يَقْضِيَ اللّه بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ».

بعد شهادة أمير المؤمنين(ع) وبعد ما جرى بين الإمام الحسن(ع) ومعاوية وتسلّم الأخير الأمر، نصب ولده يزيد ولي عهده، خلافاً لما اتّفق عليه مع الإمام الحسن، وكان يزيد معروفاً بالفسق والفجور، وقد أثبت التّاريخ الشّيء الكثير من الانحراف لهذا الرّجل، فكيف يصل الحال بالأمّة أن يتولى عليها كهذا.

لهذا فإن إصلاح الأمّة بات عمليّة شاقّة وليست بالشّيء السّهل، حيث أن مضي خمسين سنة على وفاة رسول الله(ص)، كفيل بإرجاعها إلى الجاهليّة الأولى لعدم وجود الخليفة الفعلي، حتى وصلت الحالة إلى أمر خطير جداً، وهو الاستبداد وكمّ الأفواه، فلا أحد يتمكّن من الإصلاح أو الانتقاد أو الردع عن أمر محرّم، كما أنّ صفات الخلافة لم تجتمع في شخص غير الحسين بن علي(ع) كما تقدّم.

عوامل الثّورة الحسينيّة:

أما أبرز عوامل ثورة الإمام(ع)، فهي عاملان أساسيان: الحفاظ على الدّين من التّحريف، وإصلاح الأمّة من الفساد الّذي طرأ عليها.

وفي سبيل علاج هذه الانحرافات والخروقات الخطيرة، استعمل الإمام(ع) عدّة آليات:

أولاً: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وهو ينقسم إلى قسمين:

أ. الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والّذي يقام به لأجل دعوة النّاس إلى تطبيق الواجبات الّتي قد يتركونها كالصّلاة والصّيام، أو لترك بعض المحرّمات التي قد يرتكبونها، مثل شرب الخمر أو الزنا، وهنا لا بدّ من توفر شروط في الآمر والمأمور، والمأمور به أو المنهي عنه.

ب. الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر بالمعنى الأعم الشّامل، وذلك حينما تؤدّي تلك الانحرافات إلى القضاء على الإسلام والمسلمين من الدّاخل، أو حين يهدّد الإسلام وتعلن الحرب عليه من الخارج لتبديل مبادئه، أو عند استعمار الكفار لبلاد المسلمين عسكرياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو ثقافياً. ففي مثل هذه الحالات يجب القيام بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقد تكون هذه الحالة هي حالة الدّفاع، فلا يحتاج إلى الشّروط الّتي تشترط في القسم الأول.

ثانياً: تطبيق سيرة رسول الله(ص)، فهي العامل المثبّت والشّارح لمجملات القرآن الكريم والأحكام الّتي جاءت فيه، وتطبيق سيرة علي(ع) وهي سيرة رسول الله(ص) عينها، إضافةً إلى شرح ما جاء في القرآن الكريم وتطبيق المفهوم على المصداق والعنوان على المعنون.

ثورة الحسين(ع) أعادت إحياء دين جده رسول الله(ص) وستبقى تلهم الأجيال على امتداد الزمن

ثالثاً: الوقوف أمام السّلطان الجائر المستحل لحرم الله، النّاكث لعهد الله، المغيّر لسنّة رسول الله(ص)، العامل في الأمّة بالإثم والعدوان.

ثم يستدل الإمام بحديث عن رسول الله في لزوم التحرّك والثّورة عندما تصل الحالة إلى وضع لا يمكن السّكوت عنه، يقول(ع): «أَمّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنّ رَسُولَ اللّه(ص) قَدْ قَالَ فِي حَيَاتِه: مَنْ رَأَى سُلْطَاناً جَائِراً مُسْتَحِلّاً لِحُرُمِ اللّه، نَاكِثاً لِعَهْدِ اللّه، مُخَالِفاً لِسُنّةِ رَسُولِ اللّه، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللّه بِالإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ ثُمّ لَمْ يُغَيّرْ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، كَانَ حَقِيقاً عَلَى اللّه أَنْ يُدْخِلَهُ مَدْخَلَهُ».

ويواصل(ع) كلامه في تطبيق المفهوم على المصداق وعلى الوضع الراهن له فيقول: «وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشّيْطَانِ وَتَوَلّوْا عَنْ طَاعَةِ الرّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ وَعَطّلُوا الْحُدُودَ وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ، وَأَحَلّوا حَرَامَ اللّه وَحَرّمُوا حَلَالَهُ، وَإِنّي أَحَقّ بِهَذَا الأَمْرِ لِقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللّه».

الثّورة لإحياء الحق:

وهذه الأحقيّة الّتي أشار إليها الإمام هي على نوعين: الأول أحقيته في الخلافة من يزيد وغيره، والثاني أحقيته في هذا الأمر أي جانب التّغيير والإصلاح، لأنّ هذا أمر يخصّه، وهو أولى من غيره به.

إنّ المنكرات والانحرافات الّتي كانت في زمان الإمام الحسين(ع) وما بعده، استوجب القضاء عليها أن يقدّم(ع) دمه الطّاهر ودماء أهل بيته وأولاده - حتّى الصّغير منهم - ودماء أصحابه، كما سبيت عياله وطيف بهنّ من بلد إلى بلد، وحمل رأسه الشّريف ورؤوس أهل بيته وأصحابه على الرّماح.

كما إنّ هذه المنكرات لم تكن مختصّةً بزمانه، فصراع الحسين(ع) مع أعدائه هو صراع الحق مع الباطل، وهذا موجود في كلّ مكان وزمان، فمن كان مع الحق كان مع الحسين، ومن كان مع الباطل كان مع يزيد، أليس حرياً بمن يدعي الولاء والتشيّع والمحبّة للحسين، أن يكون مع الحق وأن يلتزم طاعة الله ويقلع عن معاصيه؟

أليس حرياً بمن يدعي الولاء والتشيّع والمحبّة للحسين(ع)، أن يكون مع الحق وأن يلتزم طاعة الله ويقلع عن معاصيه؟

أليس حرياً بالمؤمنين الموالين للحسين ولجده وأبيه وأمه وأخيه(ع)، أن يقفوا في الخندق الّذي وقف فيه الحسين وقدّم الغالي والنّفيس، وأن يظهر عليهم الإيمان والورع والتّقوى حتّى يصبحوا شيعة حقيقيين.

إنّ الشّعائر الحسينيّة، من البكاء والحزن واللّطم وإقامة المآتم والعزاء ومواساة أهل البيت، كلّها ضرورية ومهمة جداً، ولكن ذلك لا يغني عن العمل والالتزام بفعل الواجبات وترك المحرمات، فإنّ من يريد أن يدخل السّرور على قلب الإمام الحسين(ع) وأن يناصره ويعادي عدوه، هو من يكافح الظّلم والعدوان والفساد والاستبداد ومن يلتزم طاعة الرّحمن ويترك طاعة الشّيطان، كما فعل الإمام الحسين(ع).

كلمة حق:

وقد قام الحُسَيْنُ(ع) خَطيباً في أَصْحَابِه فَحَمِدَ اللّه وَأَثْنَى عَلَيْه ثُمّ قَالَ: «إِنّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الأَمْرِ مَا قَدْ تَرَوْنَ، وَإِنّ الدّنْيَا تَغَيّرَتْ وَتَنَكّرَتْ وَأَدْبَرَ مَعْرُوفُهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ وَخَسِيسُ عَيْشٍ كَالْمَرْعَى الْوَبِيلِ، أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقّ لَا يُعْمَلُ بِه وَإِلَى الْبَاطِلِ لَا يُتَنَاهَى عَنْهُ، لِيَرْغَبِ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ رَبّه حَقّاً حَقّاً، فَإِنّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلّا سَعَادَةً وَالْحَيَاةَ مَعَ الظّالِمِينَ إِلّا بَرَماً».

هذا النّص يعطينا ويصوّر لنا الحالة المتردية للأمّة الإسلاميّة في ذلك الوقت، حيث الحق لا يعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، حينئذ يتمنّى الشّريف أن يموت والموت سعادة له، لأنّ الحياة في ظلّ هذه الأوضاع برم، أي سئم وضجر.

وقد أحيت هذه الكلمة من الإمام(ع) الشّعوب ورفعت رؤوسهم عالية، وحرّرت الكثير منهم بعد أن كانوا يعيشون تحت نير الظّلم والعدوان، لكنّ هذه الأمّة لم تعدم أهل البصائر من آل بيت الحسين(ع) وأصحابه، الذين نهضوا معه(ع) لمواجهة الإنحراف، فكانوا يتسابقون إلى المنيّة، ويستأنسون بها استئناس الطفل بمحالب أمّه.

الحسين(ع) فاتحاً:

كتب الإمام(ع) لما كان في مكّة لبني هاشم في المدينة: «بِسْمِ اللّه الرّحْمنِ الرّحِيمِ مِنَ الْحُسَيْنِ بْنَ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبَ إِلَى بَنِي هَاشِمَ أَمّا بَعْدُ فَإِنّهُ مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمْ اسْتُشْهِدَ وَمَنْ تَخَلّفَ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الْفَتْحِ وَالسّلَامُ».

فالإمام الحسين(ع) هو الفاتح، لأنه ثورته أعادت إحياء دين جدّه رسول الله(ص)، وستبقى تلهم الأجيال على امتداد الأزمنة، دروس التضحية والفداء.

المنبر الحسيني: بين مسؤوليتي الخطاب والتّلقي

الشَيخ حسين المصطفى

هل نكبرُ بالقضيّة الحسينيّة في الآفاق والروح والفكر، لنخرجها من دائرة الزّمن المحدود ونحركها في الأبعاد المترامية، أو إنّنا نصغّرها لندخلها في كلّ أساليب الضّعف الّتي فرضت نفسها على العقل والقلب والحركة والحياة؟!

إذا أردنا أن نكبر بها، فعلينا أن لا نفصلها عن جذورها، حتى لا نجعلها مجرّد حادثة مفصولة عن حركة الإسلام في الواقع، وهو ما يضعنا أمام مسؤوليات وأدوار كبيرة ينبغي أن نتحمّلها..

دور المنبر الحسيني:

يعدّ المنبر الحسيني منبر الإسلام الأصيل، في نشر ثقافته بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي تأصيل مفاهيمه وإبعاده عن أفكار التخلّف والغلوّ والخرافة، وإصلاح ما فسد في الواقع الإسلامي على الصّعيد الأخلاقي والاجتماعي والسّياسي، وإثارة الوعي لدى المسلمين أمام التّحديات الموجّهة إليهم للسّيطرة على مقدراتهم ومواقعهم من قبل الاستكبار العالمي، وإبراز النّهضة الحسينيّة كحركة إنقاذ للواقع الإسلامي كلّه، بعيداً عن النزعات القوميّة والعرقيّة والإقليميّة، وعن الطائفيّة المذهبيّة، وعن العصبيات الحزبيّة والمرجعيّة ونحوها، ما يمزّق وحدة الأمّة ويجعل بأسها بينها ويشغلها بالهوامش الجزئيّة، بدلاً من أن يكون بأسها موجّهاً إلى أعدائها، وتقديم الصّورة المشرقة لأبطال كربلاء، ولا سيّما الإمام الحسين(ع) والسيّدة زينب(ع) بالصّورة الرساليّة المشرقة البعيدة عن الضّعف والخذلان وروح الهزيمة، ليعرف النّاس فيها روح القوّة والعزيمة والتّحدي في مجابهة الطّغيان بكلّ صلابة، وقد قال أئمّة أهل البيت(ع) في حديثهم عن المنبر الحسيني ورسالته: «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا». وليس لأهل البيت(ع) أمرٌ إلا الإسلام الأصيل في المنهج الّذي خطوه ونهجوه في الشّكل الحضاري المنفتح على قضايا الإنسان في كلّ زمان ومكان.

مسؤوليّة الخطباء:

على أصحاب المنابر أن يتثقّفوا، وأن يطرحوا العناوين الحسينيّة للنّهضة أكثر من طرحهم المأساة الحسينيّة، وليس معنى ذلك أنّنا نتنكّر للمأساة، فلا بدّ من أن تبقى الفكرة الحسينيّة مغسولة بالعاطفة، لأنّ البكاء يعكس الارتباط القلبي بأهل البيت وسيّد الشّهداء(ع)، والدّموع تروي القلب وتزيل الظمأ، وهي حصيلة محبّة أهل البيت(ع)، ومن الطبيعي أنّ التّعاطف الروحي مع الأئمة يستوجب مشاركتهم في حزنهم وفي فرحهم، ومن علامة الشّيعة أنّهم: «يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»، ولكن علينا أن نعرف كيف نستخدم أساليب العاطفة، لأنّها تتطوّر مع الزّمن، ولذلك يمكن أن تكون بعض الأساليب المتوارثة منذ مئة سنة مفيدة في حينها، ولكنها أصبحت الآن مضرة، وفي هذا المجال نشير إلى عدّة نقاط:

> **لا يجوز أن نأتي بأشخاص جهلة متخلفين لقراءة مجالس الحسين(ع)، لأننا بذلك نقوم بتشويه صورة الإسلام من حيث لا نقصد**

ـ لا بدّ من أن يكون هناك تجديد في الأساليب، وخصوصاً الشّعر الحسيني؛ لأنّ هذا الشّعر قد نظم في بيئات سابقة كانت تحاول أن تصوّر القضيّة الحسينيّة بطريقة تتناسب مع تقاليد ذلك العصر وذهنيّاته، ونحن نحتاج إلى شعر حسيني، سواء كان شعبياً أو قريضاً، يتناسب مع المرحلة الّتي نعيشها، ومع ذهنيات الشّباب والجيل المعاصر في إثارة العاطفة.

ـ نحتاج إلى تنقية المضمون بإبعاد الخرافة عن السيرة الحسينيّة، فالبعض يحاول دائماً أن يقدّم السيرة بشكل خرافي جداً، وربما خارق للتصوّر أو مناف للعقل والمنطق لإثارة العاطفة، ولذا نحتاج إلى أن نوثّق الأحاديث بنحو أنّها لا تتحدّث عن ما تتسابق العقول إلى تكذيبه، فلو امتلك الخطيب ذوقاً وفناً أدبياً، يستطيع من خلاله أن يطرح الأشياء الصّحيحة في عاشوراء، وأن يصوّرها تصويراً فنياً وأدبياً مؤثراً، فإنّه يمكن أن يجعل الناس يبكون من دون إضافة أشياء أخرى من غير الحق. ألم نقرأ روايات أو نشاهد أفلاماً ليس لها علاقة بعقيدتنا ولا بتاريخنا ولا بحياتنا، ونبكي عند مشاهدتها؟

ـ إنّ للعاطفة أسلوباً خاصاً، ويجب أن تعرف كيف تحرّك العاطفة، بحيث يستشعر الإنسان الحزن ويعيش القضيّة حيّة حارة، ما يخلق لديه وعياً ولا يخلق تخلفاً. ولذلك فقد أصبح المنبر الحسيني يحتاج إلى ثقافة من أعمق وأوسع الثّقافات، فلا يكفي أن يحفظ الخطيب بعض القصائد ليردّدها على مسامع النّاس الّذين من بينهم المثقفون، وفيهم أناس من مذاهب أخرى ومن أديان أخرى، فلا يجوز أن نأتي بأشخاص جهلة متخلّفين لقراءة مجالس الحسين(ع)، لأنّنا بذلك نقوم بتشويه صورة الإسلام من حيث لا نقصد، فالكثير من الخطباء مخلصون، لكن تعوزهم الثّقافة الّتي تجعلهم بمستوى مهمّتهم.

ـ على الخطباء أن يتعاملوا مع الخطابة الحسينيّة كرسالة إسلاميّة لا كمهنة للعيش فقط، ولذلك فلا بدّ من أنّ تتوفّر عندهم الثّقافة الإسلاميّة بطريقة علميّة واسعة عميقة منفتحة على تطوّرات الذهنيّة المعاصرة في أساليبها وقضاياها وتطلّعاتها، لأنّ لكلّ عصر ذهنيّته الّتي يخاطب أهله من خلالها، ولكلّ جيل ثقافته، فلا بدّ لهم من أن يحدّثوا النّاس بقدر عقولهم، مع التّدقيق في دراسة الواقع الحاضر مقارناً بالواقع الّذي كان في عهد الثورة الحسينيّة، لأنّ الإمام الحسين(ع) انطلق لتكون رسالته إصلاح أمّة جدّه(ص) بما عرض لها من فساد في عصره، فعلينا إذا كنا نؤكّد رسالته في امتداد الزمن، أن نقوم بإصلاح الأمة مما عرض لها من الفساد في الواقع. فإنّ التاريخ ليس مسؤوليتنا الحركيّة، بل هو للدّرس والعبرة، ولاستيحاء القضايا الّتي تبقى منه للحياة، بل الحاضر هو مسؤوليتنا الّتي قد تأخذ من الماضي بعض العناصر الأصيلة لتخطّط للمستقبل.

ومن واجب الخطباء أن يدرسوا الواقع الإسلامي في تمزقاته، وأن لا يزيدوه تمزقاً بإثارة الخلافات، وإذا أردوا أن يتحدّثوا عن قضايا الخلافات الإسلاميّة الكليّة، فليحاولوا أن يأخذوا بالمنهج القرآني في الوقوف عند الكلمة السّواء، والجدال بالّتي هي أحسن، والحفاظ على وحدة الأمة.

كما إنّ علينا أن نبقي العاطفة في أسلوب عرض المأساة الكربلائيّة، وأن نعمل على أن تكون العاطفة صادقة لنثقّف الناس بالحقيقة لا بغيرها.

دور الجمهور الحسيني:

على الجمهور الحسيني أن يكون جمهور الوعي الإسلامي الّذي يشجع الخطباء الرساليين الّذين يحرّكون خطابهم في توعية النّاس بالحق لا بالباطل، وبالوحدة لا بالتفرقة، وبالمحبّة لا بالبغضاء، وبالفكر الأصيل لا بالفكر المتخلّف..

لقد كان أهل البيت(ع) قمّة الوعي الحضاري، فلتكن المجالس الحسينيّة مجالس الحضارة الإسلاميّة الواعية، حتى نسمح لها بالامتداد في الأجيال المعاصرة والقادمة، كما يجب منع كل مظاهر التخلّف الّتي تؤدّي إلى هتك المذهب مما توارثه الناس من عادات وتقاليد متخلفة.

كما إنّ المجالس الحسينيّة ليست مجرّد مواقع لتحصيل الثواب، بل هي مواقع لتحصيل الثّقافة الإسلاميّة والروحيّة الولائيّة الأصيلة.

لهذا نقول لكل المؤمنين: كونوا جمهور الحسين(ع) الّذي هو جمهور الإسلام الأصيل، الّذي يحمل رسالة الإسلام لتكون قاعدة للفكر والعاطفة والحياة، ولذلك، فإنّ عليكم اختيار الخطيب الرسالي الواعي الوحدويّ الّذي تستمعون إليه، وقد جاء في الحديث المأثور: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عنَ الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشّيطان فقد عبد الشيطان».

دور المرأة في عاشوراء:

إنّ للمرأة دوراً في عاشوراء في امتدادها الزمني تماماً كما هو دور الرجل، فكان لها دورٌ في عاشوراء عند انطلاقتها، فها نحن نجد السيّدة زينب(ع) المرأة القائدة الّتي انطلقت بكلّ صلابة وقوّة وشموخ، وبكلّ عنفوان وصبر ومواساة للإمام الحسين(ع) في شهادته، وفيما بعد في رعاية للأسرى والسّبايا من بعده، وفي حماية الإمام زين العابدين(ع)، وهي الّتي وقفت أمام ابن زياد بكلّ العنفوان الإيماني الإسلامي العلوي لتخاطبه بكلّ قوة.

أسلمة عاشوراء

أحمد البشر*

مثّلت النّهضة الحسينيّة حركةً تغييريّةً للواقع الّذي كانت تعيشه الأمّة الإسلاميّة، وقد استهدفت هذه النّهضة منذ البداية، المنهج الإصلاحيّ لهذا الواقع من خلال الشّعارات الّتي طرحتها، وعلى رأسها الشّعار الجوهريّ الّذي رفعه سيّد الشّهداء(ع)، وهو: «وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي(ص)، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

الخطاب الإسلاميّ وشعار التّغيير:

هذا الشّعار هو في الحقيقة فريضة إلهيّة لا تَخصّ فئةً من فئات المسلمين، بل تشمل المسلمين كلّهم، وهو عنوان لكلّ مرحلة من مراحل الحياة، حيث إنّه يستهدف عمليّة البناء والإصلاح الاجتماعيّ والرّقابة الاجتماعيّة لكلّ مفردات الحياة، وصيانة المجتمع المسلم من أيّ خلل يؤثّر سلباً في طبيعة العلاقات بين أفراده.

ولكنّ الواقع اليوم يشهد عدم الاستفادة المطلوبة من هذه النّهضة الحسينيّة المباركة، الّتي قامت على أساس رفض الظّلم ومواجهة الباطل، وذلك من خلال عدم طرح الشّعارات الإسلاميّة في الوسط الإسلاميّ العام والعمل على تطبيقها في الحياة الإسلاميّة.

وعندما نتتبّع الذّكرى خلال الأيّام المباركة من محرّم الحرام سنويّاً، نجد أنّ الخطاب الإسلاميّ الّذي يطرح نهضة الإمام الحسين(ع)، يمثّل أبسط المستويات في طريقة إحياء هذه المناسبة؛ من مجالس العزاء والمواكب الحسينيّة، والتّركيز في الخطاب العاشورائيّ في الوسط الشّعبيّ على البعد الطّائفيّ أو المذهبيّ لمدرسة أهل البيت(ع)، دون ملامسة الواقع الإسلاميّ العام الّذي يمثّله أهل البيت(ع)، بصفتهم الامتداد الإسلاميّ الأصيل لرسالة النّبيّ الأكرم(ص) في طرح المفاهيم والقضايا الإسلاميّة، ومعالجة الأزمات الّتي تمسّ الأمّة.

والسّؤال هنا: ماذا استفدنا من عاشوراء الإمام الحسين(ع) كحركة تغييريّة في مواجهة واقعنا المعاصر بقضاياه المتنوّعة؟ وهل سعينا إلى أسلمة عاشوراء في العالم؟ وهل أطلقنا خطاباً حسينياً حركياً بصورة إسلاميّة عامّة؟

صحيح أنّ نهضة عاشوراء منذ وقوعها في أرض كربلاء، أثّرت في أغلب ثورات العالم الإسلامي، وكانت الشّريان الرّئيس لحركة المواجهة والرّفض للظّلم والباطل، ونصرة المستضعفين في مواجهة كلّ استكبار واستبداد، حتى استفاد منها العلماء والكتّاب والمثقّفون في الشّرق والغرب، ومنهم في العصر الحديث «غاندي»، الأنموذج الّذي ترك لنا مقولته الخالدة: «تعلّمتُ من الحسين أن أكون مظلوماً فأنتصر». ولكن هل قدّمنا رسالة عاشوراء بصورة عالميّة لكلّ الناس، وهي الّتي تشكّل امتداداً طبيعياً للرّسالة الإسلاميّة في حركتها التغييريّة، والّتي نحتفل بإحيائها سنويّاً؟ وهل الصّورة الّتي تعرض من خلالها هذه الملحمة التّاريخيّة اليوم، وصلت إلى عموم العالم بلغة العصر وأساليبه؟

تطوير الخطاب العاشورائيّ:

ويمكن الإشارة إلى أنّ الحركة الفنيّة المعاصرة تلعب دوراً أساسياً في نقل التّاريخ البشريّ بصورة حيّة إلى الأجيال عبر السّينما والمسرح والتّلفاز والوسائل الحديثة للتّواصل، فهل تمّ توظيف هذه النّهضة الحسينيّة بعمل سينمائيّ مبدع يجسّد الواقعة، وينقل المشاهد إلى حيويّة الحدث وعنفوانه وأثره الوجدانيّ والعمليّ التّغييريّ في الحياة؟ وهل الطّاقة الّتي يكتسبها الإنسان من أجواء أيّام عاشوراء، يمكن أن تكون طاقةً لاستمراريّة القيم والمبادئ الّتي ينصهر بها الفرد من خلال الجوّ العاطفيّ للمأساة، أو من خلال الخطاب العاشورائي العام؟

نحن بحاجة ماسّة إلى تنويع الخطاب العاشورائيّ بلغة العصر الكلاميّة والدراميّة، كما أنّنا بحاجة إلى عرض النّهضة الحسينيّة بأساليب حضاريّة لا تشوّه الحدث الكربلائي، ولا تلصق به الخرافة والجهل والتخلّف، ولا تركّز على الجانب المأساويّ منها بعيداً عن القيم والمثل العليا الّتي رفعتها، ولعلّ خير من مثّل ذلك بالموقف العمليّ، العلامة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله(ره)، الّذي دعا منذ سنوات عديدة إلى أن تكون عاشوراء ساحةً للتّوازن في الخطاب بين العقل والعاطفة من جهة، والخطاب الحضاريّ الإسلاميّ من جهة أخرى، الّذي لا يحتبس في الدّائرة المذهبيّة، بل ينطلق إلى الدّائرة الإسلاميّة والإنسانيّة، لتكون عاشوراء الحسين(ع) مناسبةً إسلاميّةً إنسانيّةً حضاريّةً يحتفل بها المسلمون عموماً، بحيث تمثّل لهم مدرسةً حيّةً من مدارس البطولة والفداء في سبيل الله والمثل العليا، فكان من شعاراته الّتي أطلقها: «نحنُ نريد أسلمة عاشوراء لتكون عاشوراء إسلاميّة»، ما يؤدّي إلى انفتاح كلّ المسلمين على الأبعاد الحقيقيّة للنّهضة الحسينيّة.

*كاتب من القطيف

الحسين(ع): عظمة المبدأ والإباء

شكلت ثورة الإمام الحسين(ع) إلهاماً لكل الباحثين عن الحق والعدالة، على اختلاف مذاهبهم وأديانهم، لأنها نهضة إنسانيّة لا تختص بفئة معيّنة، بل تعني كل الثائرين على السلطة الظالمة والحاكم الباغي، في كل مكان وزمان.

وقد كتب عن دروس هذه الثورة، الكثير من الشخصيات الإسلامية، ومنهم العلّامة الشيخ عبد الله العلايلي، الذي ألّف كتاباً بعنوان: «الإمام الحسين، سمو المعنى في سمو الذات»، حيث يعتبر أن الإمام الحسين(ع)، قد ضرب مثالاً في كيفية خدمة القضايا المقدسة للأمّة، وهو امر يعتبر من أمسّ حاجات المسلمين في العصر الحالي، في حركتهم الجهادية ضد اعدائهم، وهذا الدرس لن يتعلموه إلا من الحسين(ع).

وعن فرادة الحسين(ع) يقول الشيخ العلايلي: «إن جميع من يعرفنا التاريخ بهم مناشىء الرجالات في شتى الأمم، لا نجد بينهم من يجيء مع الحسين(ع) قريناً، ولن نجد في التاريخ له مثلاً ولا نظيراً، وإنما نجد إنساناً يندفع على الموت كما يندفع الطفل على الحياة بكل جوارحه واستعداداته، فهي تجتمع عند الطفل لكي تحيا، وتجتمع عند البطل لكي تموت، وفي حيوانية حياة الطفل سر الموت، وفي موت البطل سر الحياة»..

لقد أعطانا سيد الشهداء(ع) شكلاً للزعيم المكافح الذي إذا خاض معركة الحق والباطل فإنه لا يعود إلا بأن ينتصر به الحق عاجلاً أم آجلا، فانتصار الحق مما ليس منه بد، وإن كان للباطل صولة، وللمبطل دولة، ولكن إلى حين..

من أراد أن يلتمس عظمة المبدأ عند الحسين(ع)، يجده في وصيته لأخيه محمد ابن الحنفية حيث يقول: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين».

وفي تصريحه الخطير في بيت الإمارة وفي حظيرة الحكم ورواق السلطة الذي أعلن فيه رأيه بدون مبالاة ولا وجل ولا خوف، ورد على الوليد وملء قوله جأش رابط وشجاعة نادرة واعتداد بالمبدأ واستحكام في العقيدة وقد جاء في الروايات:

دعا الوليد وهووالي المدينة الحسين(ع)، ونعى له معاوية، فاسترجع، وقرأ له كتاب يزيد في أخذ البيعة، فقال الحسين(ع)، إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سراً حتى أبايعه جهراً فيعلم الناس ذلك، فقال الوليد: أجل، فقال الحسين(ع): تصبح وترى رأيك في ذلك، فقال الوليد: انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس؛ فقال مروان للوليد: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً، ولكن احبس الرجل لا يخرج حتى يبايع، أو تضرب عنقه، فقال الحسين(ع) لمروان: ويلي عليك يا ابن الزرقاء، أأنت تأمر بضرب عنقي أم هو، كذبت والله ولؤمت، ثم التفت إلى الوليد، وقال: «يا أمير، إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق فاجر شارب الخمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالبيعة والخلافة».

فقال الوليد: ويحك، إنك أشرت عليّ بذهاب ديني ودنياي، والله ما أحب أن أملك الدنيا بأسرها وإني قتلت حسيناً، سبحان الله أقتل حسيناً لما أن قال لا أبايع.. والله ما أظن أحداً يلقى الله بدم الحسين إلا وهو خفيف الميزان لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكيه وله عذاب أليم.

والإمام الحسين(ع) يتسم بعظمة التصميم والعزم النافذ وتوطين النفس إلى النهاية، وقد قال في جوابه لابن عمر لما أشار عليه بصلح أهل الضلال، وحذره من القتل والقتال فقال: «يا أبا عبد الرحمن، أما علمت أن من هوان الدنيا على الله، أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل».

موقعة كربلاء: سيرة وعبرة

تبدلت باستشهاد الامام علي(ع) معادلات الصراع، حيث أذكى الأمويون الصراعات القبلية، ولعبوا على وتر المصالح والقضايا المصلحية، وسخروا المال والدعاية النفسية، واشتروا الضمائر، ومارسوا سياسة تعسفية قمعية ضد خصومهم، وأصبح الاستبداد والظلم عنوان تحركها، ما أدى إلى قيام العديد من الثورات والتحركات ضدها، ولكن التحرك الأهم هو ما قام به الإمام الحسين(ع) الذي رفع شعار الإصلاح في أمة جده رسول الله(ص)، ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

الحسين(ع).. التحدي والمواجهة:

كان معاوية قد أحكم قبضته على الكوفة عن طريق زياد وابنه عبيد الله، وهما من أعتى الولاة الأمويين، وقد مورست عليها كل الإجراءات القمعية، وعند وصول الخبر بوفاة معاوية، كان عبيد الله بن زياد في البصرة وقد أناب عنه النعمان بن بشير الأنصاري، وهو صحابي قليل الشأن محدود الكفاءة، فاجتمع زعماء الشيعة في الكوفة واتفقوا على استدعاء الحسين(ع)، فكتبوا إليه رسالة ومعهم خمسة من مقدميهم تضمنت التنديد بالسياسة الأموية وتطلب منه القدوم لنصرتهم.

استجاب الحسين(ع) للدعوة وأبلغ موفّدي الرسالة بأنه قادم إليهم، لكنه تريث قبل التوجه إلى العراق، فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل مبعوثاً عنه إليها. عندما وصل مسلم بن عقيل إلى الكوفة كان النعمان بن بشير قد غادرها، وظهر الشيعة إلى العلن، وأخذ مسلم البيعة للحسين من أهل الكوفة، وبدا له أن الوضع استتب لصالحه، فكتب إلى الحسين يستدعيه للقدوم، لكن عبيد الله بن زياد استطاع التسلل إلى الكوفة قادماً من البصرة، ودخل إلى قصر الإمارة متنكراً، وكان محاطاً بأعوانه، فأعلن عن نفسه من شرفة القصر بعد أن حصّنه جيداً. وتقول الروايات أن مسلم تقدم لمحاصرة القصر بقوة كافية من أهل الكوفة، لكن ابن زياد تمكن من تشتيت هذه القوة برشوة زعماء العشائر والقبائل ووجهاء المدينة التي كانت لا تزال مقسمة على أساس قبلي، ولم يمضِ وقت طويل حتى وجد مسلم نفسه وحيداً فاضطر إلى الاختباء.

كان الحسين(ع) قد دخل أراضي العراق قبل أن يبلغه مقتل مسلم وانقلاب الوضع عليه. وبقي الحسين(ع) في بضعة وعشرين من شباب أسرته وما بين السبعين والتسعين من أصحابه، وبعد سيرهم مسافة قصيرة باتجاه كربلاء طلعت عليهم قوة بقيادة الحر بن يزيد الرياحي، كانت قد كلفت بمنع الحسين(ع) من التوجه إلى جهة أخرى، ويستفاد من مجرى الأحداث اللاحقة أن خطة عبيد الله بن زياد كانت تقضي بمحاصرة الحسين(ع) في نقطة خارج الكوفة بعد أن يكون قد منع من التوجه إلى مكان آخر، ولكن دون السماح له بالوصول إلى الكوفة نفسها، خوفاً من أن يؤدي دخوله المدينة إلى عودة الالتفاف حوله. لأن أهل الكوفة كما عبر الفرزدق، كانت قلوبهم مع الحسين وسيوفهم عليه. وهكذا مع اقتراب الحسين(ع) من موقع كربلاء، الذي يبعد عن الكوفة حوالي ثمانين كيلو متراً، وصلت القوة الرئيسية المكلفة بتصفية الحساب معه.

كانت القوة بقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص، وتتفاوت الروايات في حساب عددها بين أربعة آلاف وثلاثين ألفاً. وكان والده سعد من المناهضين لعلي بن أبي طالب(ع)، وقد رفض مبايعته بالخلافة. أوكل إليه عبيد الله بن زياد أمر مقاتلة الحسين(ع)، وكان قد عيّنه والياً على الري، وهي مدينة إيرانية كبيرة تقع أطلالها اليوم في جوار طهران، فلما تحرك الحسين ووصلت الأنباء بدخوله العراق، استدعاه عبيد الله واشترط عليه قبل استلام ولايته أن يقاتل الحسين(ع)، وقبل ابن سعد ذلك

> طوال العصور الإسلامية كان المثال الحسيني يلهم حركات الثوار ضد الظالمين

لئلا تضيع منه الولاية، وفي كربلاء تريث طويلاً قبل أن يأمر الجيش بالهجوم حيث دارت مفاوضات حاول فيها أن يحل المشكلة سلمياً بإقناع الحسين(ع) بعدم جدوى القتال.

مسيرة البطولة والشجاعة:

وعندئذ ألقى الحسين(ع) خطبته القصيرة المدوية التي قال فيها: «ألا وإن الدعي ابن الدعي ـ يقصد عبيد الله بن زياد ـ قد ركز بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية ونفوس أبية لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام».

بدأ القتال بالمبارزة التي أبلى فيها الإمام الحسين(ع) وأصحابه بلاءً حسناً، ثم قام الجيش بهجوم شامل أسفر عن قتل خمسين من أصحاب الحسين(ع)، لم يلبث ابن سعد بعدها أن أمر الجيش بالكف عن القتال، حيث كان يطمع في استسلام الحسين بعد

أن قتل هذا العدد من أصحابه ولم يبق معه من المقاتلين الفعليين إلا القليل. لكن الحسين(ع) واصل القتال، الذي أخذ عندئذ شكل المبارزة والهجمات السريعة الخاطفة من الجانبين، وانتهت هذه الجولة بمقتل من تبقى من أصحابه ومن معه من شباب أسرته، وجاءت الجولة الأخيرة وهي الأكثر إثارة، حين وقف الحسين(ع) منفرداً في مواجهة الجيش، تنقل المصادر عن أحد شهود المعركة ما يلي:

«فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه، وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب. ولقد كان يحمل فيهم فينهزمون بين يديه كأنهم الجراد المنتشر، ثم يرجع وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله».

القضية والموقف:

ويثير هذا المشهد جملة أمور: فالحسين(ع) صاحب قضية، أما المقابل فيقاتل كجيش نظامي مأمور؛ فالتوازن مفقود بين الطرفين في المعنويات.. وثمة مع ذلك عنصر هام أشارت إليه الدراسات الحسينية، وهو أن الجيش كان في جملته يتحاشى قتل الحسين(ع)، ومن المتوقع أن يكون انكشافهم عنه متأثر إلى حد، قليل أو كثير، بهذا التحفظ. وفي الحقيقة لم يردنا عن أولئك الذين آذوا الحسين(ع) إلا القليل، وأوردت المصادر أسماءهم، ومعظمهم وقعوا فيما بعد في قبضة المختار بن عبيد الله الثقفي أيام سيطرته القصيرة على الكوفة، حيث نكّل بهم وقتلهم، ويدلّ التمكن من ضبط أسمائهم على قلتهم، وقد نظر الشيعة إلى هؤلاء بوصفهم من غلاظ الكفرة، أما الآخرين فاعتبروهم مستحقين لعذاب جهنم لأنهم «كثروا السواد على آل رسول الله»، بمعنى زادوا بحضورهم عدد الجيش، وهو المقصود بالسواد الذي يدل في اللغات السامية على جمهرة الناس.

في السويعات الأخيرة من القتال، الذي استغرق أكثر من نصف نهار العاشر من محرم عام ٦١ للهجرة، كان الحسين(ع) قد أثخن بالجراح وأدركه الإعياء والعطش، ففقد القدرة على الحركة، لكنه بقي واقفاً على رجليه يقاوم السقوط، فأخذ بعضهم يرشقه من بعيد بالسهام والحجارة فتهاوى على الصعيد، وبقي مكباً على وجهه مدة طويلة قدّرها الرواة بثلاث ساعات والجيش يتحاشى الدنوّ منه، وبعد جدال وتردد، اندفع بعض الأفراد نحوه فأجهزوا عليه وقطعوا رأسه، وكان في أواخر خمسيناته، وقد حمل الرأس ومعه رؤوس بقية القتلى على الرماح وتوجهوا بها إلى الكوفة بصحبة السبايا من النساء والأطفال، وتركت الجثث التي شوهتها حوافر الخيل، وبعد ثلاثة أيام من رحيل الجيش وصلت جماعة من بني أسد المقيمين قرب كربلاء فدفنوا الجثث، وقد أقيمت بعد سقوط الأمويين مراقد على قبور القتلى لا تزال شاخصة وسط مدينة كربلاء الحديثة بعد أن جددت عدة مرات وصفحت مآذنها وقبابها بالذهب.

أما رأس الحسين(ع) فنقل مع رؤوس أصحابه إلى دمشق ليعرض على الحاكم الأموي، وتختلف الروايات في مصيره بعد ذلك، بعضها يقول أنه أعيد إلى كربلاء ودفن مع الجسد، وبعضها الآخر يقول إنه دفن في دمشق، وفي طرف من الجامع الأموي تقوم اليوم قبة صغيرة يقال أن رأس الحسين(ع) مدفون فيها. وهناك رواية تفيد أن الفاطميين نقلوه إلى القاهرة بعد استيلائهم على دمشق. وإلى هذه الرواية يستندون في تسمية المسجد الكبير في القاهرة القديمة والمعروف بمسجد سيدنا الحسين(ع)، إذ يفترض أنه بني على القبر الذي دفن فيه الرأس.

درس وعبرة:

أحدث مقتل الحسين(ع) رد فعل عنيفة ضد السلطة الحاكمة، وكان ذلك الحدث قد اعتبر امتحاناً لإمكان خضوع المسلمين لسلطان مستبد لم يتعودوا عليه في جاهليتهم. روى الطبري أن عبد الله بن مطيع، من زعماء الحجاز، توسل الحسين(ع) أن لا يجازف بالخروج إلى الكوفة، قائلاً له: «والله لئن هلكت لنسترقن بعدك». باعتبار أن إقدام الأمويين على قتل الحسين سيسهل عليهم إخضاع المسلمين لسلطانهم، بينما تحول صمود الحسين واستبساله إلى أمثولة للثائرين.

وقد قامت حركات ثورية عديدة تحت شعار «يا لثارات الحسين» حتى نهاية الحكم الأموي ومجيء العباسيين الذين اعتبروا أنفسهم آخذين بثأر الحسين من بني أمية، وطوال العصور الإسلامية كان المثال الحسيني يلهم لحركات من الثوار ضد العباسيين وغيرهم من السلطات الظالمة، ويمارس حضوره كعنصر شد للمعنويات، لا سيما في لحظات الحرج أو اليأس. ولا يزال لهذا المثال تأثير في الوقت الحاضر.

مع عليّ(ع) في عهده للأشتر(٤):

تحديد المسؤوليّات الأساسيّة

جعفر فضل الله

يحدّد الإمام عليّ(ع) لمالك الأشتر أربعة عناوين تمثّل الأعمال الأساسيّة الّتي ينبغي لمالَك أن يضطلع بها في حكمه مصر، وهي جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها...

جباية خراجها:

المقصود بالخراج، الضّرائب العامّة الّتي تفرضها الدّولة؛ وقد حُدّدت في الشّريعة الإسلاميّة تحت عنوان «الزكاة»، وهي تختزن في داخلها عنواناً روحيّاً إيمانيّاً، يولد في الإنسان روحاً إيجابيّةً في العطاء، بحيث لا يعتبرُ ذلك مجرّد شيء مفروض على النّفس، تدفعه مُكرهةً انطلاقاً منْ ميلها إلى الاستئثار، بل العطاء هنا هو نوعٌ من التّربية الروحيّة والأخلاقيّة، إلى جانب كونها مساهمة في واجب تجاه الدولة.

والآيات واضحةٌ الدّلالة في مصرف الزكاة وما ثبت فيه الخمس منها، فقال تعالى ـ في مصارف الزكاة ـ: ﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلّفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾(التوبة:٦٠)، وفي الخمس قوله تعالى: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ (الأنفال:٤١). وقد انقسم الرأي حول هذه الآية بالذات؛ فاعتبر البعض أنّ المقصود كلّ ما غنم الإنسان، فيشمل أرباح التّجارات، وليس مختصّاً بغنائم الحرب كما فهم البعض الآخر. وكيف كان، فالبحث موكولٌ إلى محلّه في الفقه.

ولا بأس هنا من التأمّل في كلمة للإمام عليّ(ع)، لما عوتب على التّسوية في العطاء، قال(ع): «أتأمّرونّي أن أطلبَ النصر بالجور في مَن وُلّيتُ عليه؛ والله، ما أطورُ به ما سمر سميرٌ، وما أمّ نجمٌ في السماء نجماً. لو كان المال لي لسوّيتُ بينهم، فكيفَ وإنّما المالُ مالُ الله. ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذيرٌ وإسرافٌ، وهو يرفع صاحبَه فيَ الدنيا ويضعُهُ في الآخرة، ويكرمُه في الناس ويهينُه عند الله. ولم يضع امرؤٌ ماله في غير حقّه ولا عند غير أهله إلا حرمَه الله شكرَهم، وكان لغيره ودُّهم؛ فإن زلّتْ به النعلُ يوماً فاحتاجَ إلى معونتهم فشرّ خدين ـ الصّديق أو الصّاحب ـ، وألأمُ خليل» (نهج البلاغة، ج٢، ص٦). هذه هي الروحيّة الّتي يفكّر فيها عليّ(ع) في مسؤوليّته عن المال وعن مقدّرات الدّولة والشّعب؛ فليست هي للاستئثار الشّخصي أو العائليّ، بل هي لأجل خدمة النّاس على البرنامج الّذي وضعه الله تعالى.

جهاد عدوّها:

الجهاد هو العنوان الّذي اختاره الله تعالى للتّعبير عن الركيزة الثّانية من ركائز بناء الدّولة، وهو يختزن معنىً واسعاً في مواجهة العدوّ الّذي قد يتحرّك بالعدوان العسكريّ، أو الاقتصاديّ، أو الاجتماعيّ، أو من خلال ما يُسمّى بحرب الأدمغة في المجالات العلميّة والاستخباريّة، فضلاً عن الجهاد الثّقافي والفكري الّذي ينبغي أن يعمل على تثبيت القواعد النّظريّة للدّولة وحركتها ورسالتها وأهدافها لدى النّاس عموماً.

وقد حثّ الإسلام على الجهاد من خلال ربطه بالله تعالى في الآثار والنّتائج الفرديّة، بحيث لا تعود مسألة الجهاد مسألة وظيفة يُمكن للإنسان أن يحصل من خلالها على العيش الكريم؛ بل هي مسألة إيمانيّة ترتبط بمسؤوليّته عن حماية المجتمع والقيم، في ما يريده الله تعالى من ذلك؛ فإذا تحقّق النّصر فهي نعمةٌ كُبرى تستحقّ الشّكر؛ وإذا استشهد الإنسان، فله أجرٌ لا حدّ له؛ قال تعالى: ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة يقاتلون في سبيل الله فيقتُلون ويُقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾(التوبة:١١١) .

والجهاد يتضمّن التّدريب البدني والعلمي للأفراد، كما يفترض الإعداد على مستوى الوسائل والآلات الجهاديّة؛ كما قال تعالى: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم﴾(الأنفال:٦٠)؛ وهذه من المسائل المتحرّكة الّتي يُمكن أن تنفتح على تعقيدات واقعيّة كثيرة تفترض أن يتحرّك التّنظيم العسكري الجهادي بأدقّ صورة.

إستصلاح أهلها:

من المهمّات الأساسيّة للحاكم هي السّعي إلى تحقيق الصّلاح في المجتمع. والصّلاح هو وضع الأمور في موضعها، وصوغ الأنظمة لتحقيق الأهداف الّتي يتبانى المجتمع لتحقيقها، وهي تحقيق العدل والأمن والخير في حياة النّاس. كما أنّ الصلاح لا يُنظر إليه في المدى القريب الآنيّ فقط، بل لا بدّ من النّظر إليه ـ وخصوصاً في عالم التّخطيط لحركة الدّولة ـ في المدى البعيد، بما قد يفرض أحياناً مواقف مختلفة في المدى الآنيّ.

فعلى سبيل المثال، من الممكن أن يتحمّل المجتمع الدّمار والقتل والتّشريد في الحاضر؛ لأنّ هذا ما يقتضيه صلاح الدّولة والمجتمع في المدى البعيد، عندما يكون هناك عدوّ غادر مُفسد.

وليس من شكّ في أنّ الصّلاح لا بدّ من أن يطبعَ كلّ المجالات؛ سواء كانت اقتصاديّة؛ بحيث يحفظ النّظام الاقتصادي حقوق النّاس وأموالَهم، ويضمن لهم المجال السّليم لحركة تجاراتهم ومعاملاتهم وما إلى ذلك؛ أو كانت سياسيّة؛ فيكون النّظام السّياسي كفيلاً بتحقيق المصالح العليا للنّاس والمجتمع، حيث إنّ المعايير المحدّدة لتبوّء المواقع السياسيّة قائمة على أساس الكفاءة والأمانة، كما أنّ النّظام لا يتحرّك على أساس الاستبداد والظّلم والطّغيان، إضافةً إلى القوانين الّتي لا بدّ من أن تُراعي تحقيق الصلاح في حياة المجتمع؛ أو كانت مجالات اجتماعيّة؛ بحيث يُحمى المجتمع من كلّ العناصر التي تدمّره ذاتيّاً؛ أو كانت أمنيّة وما إلى ذلك.

ومن الواضح أنّ من لا يملك شيئاً لا يملك إعطاءه للآخرين؛ ما يفرض على الحاكم أن يكون خبيراً بالمفردات الّتي تحقّق عنوان الصلاح في حياة النّاس؛ وأن يمتلك الكفاءة الّتي تؤهّله للإحاطة ـ ولو عبر النّظام ـ بمقتضيات الصّلاح في الواقع، وبالحكمة في تحريك سياسته على الأرض.

عمارة بلادها:

هذا هو عنوان آخر لمسؤوليّة التّطوير الّتي يحتاج إليها أيّ مجتمع لضمان استمراريّته تجاه المتغيّرات؛ ذلك أنّ عمارة البلاد ليس المقصود بها العمران المُدني ونحو ذلك فحسب؛ بل المقصود بها هو كلّ نشاط تطويريّ؛ فتتضمّن إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات ومراكز الأبحاث والدّراسات، ممّا يندرج في إطار النّشاط العلمي التّطويري لأيّ مجتمع، كما تشمل تطوير الزّراعة عندما يكون لدى الدّولة مقدّرات زراعيّة، والصّناعة كذلك، والاستفادة من كلّ الثروات الطبيعيّة الّتي تكون محطّ النّعمة الإلهيّة على بلدٍ دون بلدٍ، ومجتمعٍ دون آخر.

ضرورة تحديد الأعمال الأساسيّة:

وتحديد الأعمال الأساسيّة لأيّ فردٍ تسهّل أمرين:

الأمر الأوّل: أن يضع الإنسان لنفسه وللآخرين الحدّ الفاصل بين مسؤوليّاته وما يُمكن أن يعرض عليه من مشاغل واهتمامات لا تدخل في صُلب أعماله الأساسيّة؛ والحال أنّ أغلب ضياع وقت الإنسان يكون في صرف الوقت الزائد في الأمور الهامشيّة؛ لأنّ الإنسان ـ بطبعه ـ ميّالٌ إلى اللّهو والخوض في جزئيّات الأمور؛ فيحتاج في مقابل ذلك إلى بصيرة وإرادة؛ بصيرة يحدّد فيها أولويّاته بدقّة، وإرادة يحرّكُ من خلالها وقته وجهده وطاقته في الأولويّات.

الأمر الثاني: وضوح قاعدة الرقابة والمحاسبة؛ وذلك على مستويين:

ـ مستوى الرقابة والمحاسبة الذاتيّين؛ وهو ما ينبغي أن يقوم به الإنسان دائماً تجاه أعماله الّتي قام بها، على ضوء الأهداف الّتي يسعى إلى تحقيقها؛ وقد ورد في الآثار الدينيّة الحثّ الكبير على محاسبة النّفس، أو ما يُصطلح عليه في علم الإدارة الحديث بالتّقويم الذاتي.

ـ مستوى الرقابة والمحاسبة من قبل الإدارة أو السّلطة العليا؛ بمعنى أنّه لا يُمكن لأيّ حاكمٍ أن يحاسب من دونه، سواء أكان حاكماً فرعيّاً أم من الناس، ما لم يكن واضحاً لذلك الحاكم الفرعي أو لأفراد النّاس ما هو المطلوب منهم بالتحديد.

وعلى هذا الأساس، لا يُمكن اعتماد لغة العموميّات أو الإنشائيّات أو المفردات الحمّالة لوجوه مختلفة من المعاني في كتابة القوانين والدّساتير، أو في خطط الدّولة العامّة، أو في البرامج الانتخابيّة الّتي يقدّمها المرشّح للنيابة أو للوزارة إلى النّاس؛ لأنّ هذا الأمر يؤدّي إلى لبس في طبيعة الأعمال الّتي يجب على الإنسان أن يقوم بها، وبالتالي إلى لبس في قواعد التّقويم من قبل من له حقّ التقويم والمحاسبة.

من المهمّات الأساسيّة للحاكم، السّعي إلى تحقيق الصّلاح وصوغ الأنظمة لتحقيق الأهداف الّتي يتبانى المجتمع عليها

عندما يتجاوز الفقيه حدود المذهب: المرجع فضل الله نموذجاً

د.عبد الغني عماد

الغوص في فكر العلامة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله(ره) ليس مهمّة سهلة على الإطلاق، فالقارئ والباحث يقف أمام النّص الّذي يقدّمه سماحة السيّد(ره) مشدوداً إلى مرجعيّة الواقع والعقل بشكلٍ دائم، وهي مرجعيّة مشحونة بالرّوح الإيمانيّة العميقة..

المذهبيّة والتخلّف والتعصّب: علاقة عضويّة

يقول العلامة المرجع السيّد فضل الله(ره) في أحد نصوصه: «أنا لا أستطيع أن أتصوّر إنساناً يعيش المعرفة، ولا ينفتح على كلّ اهتزازات الواقع، وكل حركة البؤس والشّقاء وحركة المستكبرين في اضطهاد المستضعفين. لذلك أقول: كلّما كنت مثقفاً أكثر، وكلّما كنت إنساناً أكثر، كنت إنسان الحياة الّذي تدخل الحياة إلى عقله ليفكر للحياة دائماً، لا لينطلق في التّجريد ليعيش بعيداً عن الواقع... وكلمتي إلى الجميع أن يعودوا إلى شروط الحوار الموضوعيّة من معياريّة ثابتة واضحة، لكي لا يتورّط المتحاورون بامتهان عقولهم من خلال امتهان المعرفة وتشويهها، لأنّ الخسارة الفكريّة في مثل تلك الأجواء المحمومة بالجهل وجاهليات التعصّب هي خسارة للجميع».

ولا يفوت سماحة العلامة المرجع السيّد فضل الله(ره) أن يتصدّى للشّكل المذهبي المعقّد، فيرى أنّه لا بد في البداية من محاولة نقل الخلاف من الحالة الشّعوريّة إلى الحالة الفكريّة، حتّى يمكن إخضاع الاختلاف في وجهات النّظر للحوار العلمي الموضوعي. وهذه النّقلة المنهجيّة في التّفكير الّتي يعمل عليها السيّد، هي المدخل لمعالجة الاختلافات والخلافات. فالمشكلة عميقة الجذور، وهي بدأت في العصر الأوّل للإسلام نتيجة الموقف من الخلافة والإمامة، فكان للعقيدة جانب كبير فيها، ثم جاءت أحداث التّاريخ والوقائع السياسيّة لتعمّق المشكلة بين السنّة والشّيعة، الأمر الّذي أحدث حالة فرز فيما بينهم، عمّقته سياسات الدّول وأجهزتها المخابراتيّة، ويرى سماحة السيّد(ره) أنّ المشكلة المذهبيّة تغذّت من حالة التخلّف الكبير، حتّى أصبحت عوامل التخلّف تكمن في الجذور الحقيقيّة لهذه المشكلة.

سبل المعالجة والحلّ:

وهو يعتبر أنّنا لا نزال نشعر بثقل هذه المشكلة، وعلينا أن نفكّر في هذه المسألة من ناحيتين:

ـ الأولى: تنطلق من اعتبار أنّ اختلاف وجهات النّظر بين المسلمين ليس بدعاً من القضايا الإنسانيّة، فهناك أكثر من دائرة إنسانيّة لا علاقة لها بالدّين، هناك اجتهادات مختلفة ومتنوّعة في نطاقها، ومن الممكن أن تتعايش الاجتهادات في ما بينها، وأن تسلك سبيل الحوار في الوصول إلى النّتائج الحاسمة في ما يختلف فيه المسلمون، على الطّريقة الإسلاميّة التربويّة في أسلوب الحوار وفي حركته وفي أجوائه، مع ملاحظة أنّ ما يتفق عليه المسلمون أكثر مما يختلفون فيه، وأنّه إذا كانت الاجتهادات بين السنّة والشّيعة في مسألة الخلافة لم تستطع الوصول إلى حلّ حاسم، فهناك أيضاً اختلافات أخرى داخل المذاهب الفقهيّة نفسها، في الدّائرة السنيّة وفي الدّائرة الشيعيّة، لم يتم الاتفاق حولها، الأمر الّذي يحتم إمكانات التّعايش ونقل مسألة الخلاف من الحالة الشعوريّة إلى الحالة الفكريّة الّتي تضع الخطوط العامّة للوفاق، وتدرس الخطوط التفصيليّة للخلاف بعقليّة إسلاميّة علميّة.

حركة الوحدة الإسلاميّة ترتبط ارتباطاً جذرياً بحركة التّحرر من الاستكبار العالمي الّذي يعمل على منعها باعتبارها أحد عناصر القوّة للمسلمين

وكمداخل عمليّة على هذا الطّريق، يرى سماحة العلامة المرجع فضل الله(ره) أنّه لا بدّ من تربية الجيل الإسلامي على ذلك، حتّى تخرج المسألة من الجانب الشّعوري الحساس وترتفع إلى الحيّز الفكري الموضوعي، كما يقترح التقدّم خطوة بعقد جلسات حواريّة بين مفكري وعلماء السنّة والشّيعة ولو في دوائر ضيّقة بعيدة عن الإعلام، حتى نستطيع أن نقدّم تجارب محدودة ناجحة إلى المجتمع الإسلامي، ولا سيّما مع تقدّم الفكر الموضوعي والعلمي في العصر الحديث، حيث أصبح بالإمكان ولو في بعض الدوائر المحدودة، أن تتدخّل عمليّة الفكر لتقلّل الكثير من الحالات الذاتيّة.

ـ الثانية: إمكانيّة أن تكون المسألة السياسيّة مدخلاً للوحدة الإسلاميّة، استناداً على التّهديدات الجديّة الّتي يتعرّض لها العالم الإسلامي من قبل القوى المعادية. فالخطر على حاضر ومستقبل الإسلام يمكن أن يشكّل كما يرى سماحة السيّد(ره) مدخلاً لوحدة إسلاميّة شعوريّة تطرد الكثير من المشاعر الخاصّة المعقّدة المعادية. لذلك يجب التركيز على الوعي السياسي الإسلامي الّذي يمكّن المسلمين من الانفتاح على المسائل العامّة على المستوى الثّقافي، وعلى المشاكل العامّة للإسلام على المستوى السياسي.

ويقدّم المسألة الفلسطينيّة كمثال يمكنه أن يجتذب كلّ المسلمين من دون أن تعتبر مسألة سنيّة، بل نجد أنّ الشّيعة أصبحوا أكثر ارتباطاً بالمسألة الفلسطينيّة باعتبارها مسألة إسلاميّة عندما استطاع الإسلام أن يعيش في الدّائرة الشيعيّة معمّقاً الشعور الإسلامي في حركتهم السياسيّة. يخلص سماحة العلامة المرجع فضل الله(ره) إلى إمكانيّة وقوف المسلمين جميعاً، بعيداً عن مذهبياتهم أمام قضيّة قد تحمل خصوصيّة شيعيّة أو سنيّة، ولكنّها تحمل في دائرتها الواسعة بعداً إسلامياً، تعني أنّ المسلمين يمكن أن يلتقوا وأن يتوحّدوا في أيّ وقت.

فتاوى على طريق الوحدة:

مع ذلك يؤكّد العلامة المرجع فضل الله(ره) أهميّة التربية الإسلاميّة السياسيّة والفكريّة الموضوعيّة في تخفيف الحالة الشعوريّة المذهبيّة أو محاولة إلغائها تماماً، ويشير إلى أنّ قضيّة الوحدة الإسلاميّة هي من الممنوعات الدوليّة في نطاق السّياسة الاستكباريّة العالميّة، لذلك فإنّ حركة الوحدة الإسلاميّة ترتبط ارتباطاً جذرياً بحركة التّحرر من الاستكبار العالمي الّذي يعمل على منعها باعتبارها أحد عناصر القوّة للمسلمين، وعلى مثل هذا الفهم يجب تربية المسلمين.

يعترف سماحة السيّد(ره) أنّ مثل هذا الحل في مواجهة الحالة المذهبيّة المعقّدة ليس سهلاً، لكنّه يعتقد أنّه واقعي، بمعنى أنّ واقعيته ليست واقعيّة مرحلة واحدة، بل واقعيّة مراحل كثيرة لا بدّ من اجتيازها للوصول إلى الهدف المطلوب.

وفي هذا المجال، يذهب العلامة المرجع السيّد فضل الله(ره) عميقاً في بعض الفتاوى الّتي قدّمها بهدف التّقريب بين السنّة والشيعة، والّتي خالفت ليس فقط غلاة أهل المذهب، بل حتى اختلفت عن بعض مصنفات أركان المذهب الكبار، كالمفيد والمرتضى والطوسي وابن طاووس والحلي وغيرهم، حيث نجد في جميع كتب العقائد الشيعيّة أنّ الإيمان الموجب في دخول الجنة لا يصح دون الإيمان بإمامة علي(ع) وعصمته، ومقتضى هذا نفي الإيمان الحقيقي عن بعض الصحابة، ومن هنا راجت وشاعت عمليات السّب وما شاكلها، وفي هذا الأمر يقول سماحة السيّد(ره) بفتوى واضحة وصارمة ما يلي: أنا شخصياً أحرّم سبّ أي صحابي، وإن كان لنا رأي في مسألة الإمامة والخلافة.

أما في مسألة السبّ، فقد قلت إن هذا يحرم على أي مسلم، وأنا أسجل هذا في كل استفتاء يأتيني، بأنه يحرم سبّ أي صحابي بمن فيهم الخلفاء. وأنا أنقل كلمة عن الإمام علي(ع) عندما كان في طريقه إلى صفين، وسمع قوماً من أهل العراق يسبون أهل الشام، فقال لهم: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: اللهم أحقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به». وهذا النص موجود في نهج البلاغة.

لذلك نحن نتعاطى مع الخلفاء في مسألة الخلافة كما تعاطى الإمام علي بن أبي طالب(ع) الذي كان منفتحاً عليهم وكان يعاونهم ويشير عليهم بكل ما فيه مصلحة لهم. وهناك حديث عن الإمام جعفر الصادق(ع) يخاطب فيه بعض المسلمين من الشيعة: «ما أيسر ما رضي الناس منكم، كفوا ألسنتكم عنهم». أما أمهات المؤمنين، فنحن نحرّم سبهنّ، ونقول إنّه لا بد من إكرامهنّ إكراماً لرسول الله(ص)، وأنا أنقل بيتاً من قصيدة لأحد علمائنا المتوفّى قبل مئة سنة، واسمه السيد محمد باقر حجة الإسلام. يقول:

فيا حميرا سبّك محرّمُ
لأجل عين ألف عين تكرمُ

لذلك نحن نحرّم سبّ أمهات المؤمنين والإساءة إليهن، كما نحرّم سب الصحابة، وقد أصدرنا فتوى في ذلك انتشرت في العالم.

بعثة الحجّ في مؤسّسة العلامة المرجع السيّد محمد حسين فضل اللّٰه:

تواصل مع الحجيج من مختلف انحاء العالم الإسلامي ونشر للفكر الوحدويّ الحركيّ

يشكل موسم الحج، موسما إسلاميّا عظيماً يلتقي فيه المسلمون في رحاب البقاع الطاهرة، لتأدية احدى اهم فرائض والعبادات، التي تحمل الكثير من المنافع للأمة الإسلامية، على كافة المستويات، السياسية والفكرية والتربويّة، حيث يجتمعون في مظهر عظيم يعبّر عن قوة الإسلام ووحدة المسلمين في مواجهة الأعداء.

إنطلاقة البعثة:

كما يشكل الحج في رؤية سماحة العلامة المرجع والفقيه المجدد السيّد محمد حسين فضل الله، مؤتمراً إسلاميا يلتقي فيه المفكرون في حوار فكري إسلاميّ سليم؛ ليصلوا إلى القناعات المشتركة، أو المتقاربة، وليعملوا على أساس الوصول إلى الوحدة في الفكر والأسلوب والعمل، كما انه فرصة لبحث قضايا الأمة الكبرى، والإنطلاق لمواجهة قوى الإستكبار والخروج من سيطرة ضغوطهم السياسية والاقتصادية.

وقد أكد سماحة السيد(ره) ضرورة توجيه العمل إلى لقاء المسلمين ببعضهم البعض في أجواء اسلامية حميمة، يتحادثون فيها فيما بينهم، في كل ما يهمهم من قضايا؛ وذلك بالزيارات الفردية والجماعيّة لجمعيات الحجاج وأماكن تجمعهم، ليتحسسوا الشعور بالوحدة من خلال اكتشاف الهموم المشتركة والقضايا الواحدة، والأهداف الكبيرة التي يلتقون فيها على اسم الله.. ليحقّق ذلك رفضاً لكل الخطط والمشاعر، التي يعمل الكافرون من خلالها على عزل المسلمين عن بعضهم، من خلال الشعور القومي أو الإقليمي أو غير ذلك.

ومن هذا المنطلق الحركي، كانت إنطلاقة بعثة سماحة المرجع السيّد فضل الله السنوية إلى الحج، التي باشرت نشاطها قبل أكثر من خمسة عشر عاماً، حيث كان سماحة السيّد(ره) يحرص على التواجد في هذا الموسم، ليلتقي بالمسلمين من كل انحاء العالم، ليجيب عن أسئلتهم واستفساراتهم وامورهم الشرعية، وليقدم لهم الفكر الإسلامي الأصيل، من أجل ان ينفتحوا على قضايا الأمة، ويتوحدوا في مواجهة الأعداء.

ولم يتخلف سماحة السيد عن موسم الحج إلا في حالات قليلة جداً، عندما كان يتعذر ذهابه بسبب ظروف صحية ظاغطة، أو غيرها من الظروف، وقد كانت آخر حجّة حجّها سماحة المرجع المقدس(ره)، في عام ١٤٢٩ هجرية- ٢٠٠٨ ميلادية.

وقد استمرت البعثة وتطور عملها عبر السنين، ومازالت تقوم بمسؤولياتها الإسلامية، بعد رحيل سماحة السيّد(ره) إلى الرفيق الأعلى، حيث تضم مجموعة من العلماء الأجلاء من تلاميذ سماحته، الذين يواصلون مسيرته الحركيّة، ومنهجه في طرح الفكر الإسلامي الوحدوي الأصيل،كما يتواصلون مع الحجيج، ويجيبون عن مسائلهم الشرعية، وخصوصاً مقلدي المرجع الراحل (ره) الذين ينتشرون في انحاء العالم الإسلامي.

وفي إطار دورها التوجيهي والإرشادي، تستقبل البعثة في مقرها عدداً كبيراً من الحملات من دول عربية وإسلامية عدّة، كما تقوم بزيارات إلى حملات أخرى للقاء بالحجيج والتواصل المباشر معهم والإجابة عن أسئلتهم.

كما تقوم البعثة بزيارة عدد من البعثات العلمائيّة والرسميّة، وذلك للتباحث في الشؤون الإسلامية العامة التي تهمّ الأمة، كما تستقبل في مقرها البعثات الزائرة.

كما تخصص بعثة الحج أرقاماً هاتفية دائمة للإجابة على إستفتاءات الحجيج، كما انها تقوم بتوزيع الكتب الإسلامية، مثل مناسك الحج وفقه الشريعة، وعدد من كتب سماحة المرجع فضل الله، لمن يطلبها من الحجيج، إضافة الى الأقراص المدمجة التي تتضمن محاضرات إسلامية متنوعة لسماحة السيد(ره)، والأدعية والزيارات بصوت سماحته.

نشاطات البعثة في المدينة المنوّرة:

وقد كان لبعثة مؤسّسة العلامة المرجع فضل الله(ره) هذا العام، حضور مميز، منذ وصولها إلى المدينة المنوّرة، حيث زار مقرها في فندق «شذا المدينة» وفود من الحجيج، من لبنان والعراق ودول الخليج، وقد كان في استقبالهم سماحة العلامة السيّد محمّد علي فضل الله، وسماحة العلامة السيّد علي فضل الله والعلماء الأفاضل من أعضاء البعثة.

كما زار مقر البعثة، وفد من علماء المدينة المنوّرة الّذين أكّدوا تقديرهم للدّور الوحدوي الّذي تقوم به مؤسّسة المرجع فضل الله، من خلال التزامها نهج المرجع الراحل(ره) وفكره، حيث كان سماحته رائد الوحدة الإسلاميّة، وكانت حياته الشّريفة حركةً متواصلةً في هذا الخطّ.

وشارك وفد البعثة في الفاتحة الّتي أقامتها بعثة الحجّ العراقيّة في مقرِها في المدينة المنوّرة، عن روح سماحة العلامة الراحل الشّيخ محمّد الصيرمي، وهو أحد العلماء العاملين في السّاحة الإسلاميّة في العراق، إلى جانب عددٍ كبيرٍ من الحجيج

من العراق ودول إسلاميّة مختلفة الّذين حضروا مجلس الفاتحة.

نشاطات البعثة في مكّة المكرّمة:

ومنذ وصولها إلى مكّة المكرّمة، استقبلت البعثة، وفوداً شعبيّةً وعلمائيّةً من دول عربيّة وإسلاميّة متعدّدة.. كما زارت في إطار التّواصل مع الوفود والشّخصيات الإسلاميّة في هذا الموسم المبارك، عدداً من البعثات الرسميّة والعلمائيّة، إضافةً إلى عدد من حملات الحجيج العربيّة والإسلاميّة.

وأمّت مقرّ البعثة في منطقة العزيزيّة الجنوبيّة، مجموعةً من حملات الحج التي ضمت عدداً كبيراً من الحجاج القادمين من أستراليا والولايات المتّحدة الأمريكيّة وكندا، إضافةً إلى وفود من الحجيج من حملات لبنانيّة مختلفة.

وقد زار مقر البعثة مجموعةٌ من حجاج منطقة القطيف في السّعوديّة، الّذين عبّروا عن عميق تقديرهم للنّهج الوحدوي الّذي يمثّله سماحة العلامة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله(ره)، مؤكّدين أنّه يشكّل ضمانةً لوحدة الأمّة في هذه المرحلة الصّعبة من تاريخها.

كما زار البعثة وفدٌ من الحجيج العُمانيين، وعددٌ من الحملات التي تضمّ مجموعةً من الحجاج اللّبنانين القادمين من القارة الإفريقيّة، ووفدٌ من الحجاج الأفارقة من دولة غينيا، أكّدوا ضرورة الاهتمام بأوضاع المسلمين في أفريقيا.

كما أقيمت صلاة الجماعة في مبنى البعثة ظهر ومغرب كل يوم، بإمامة سماحة العلامة السيّد محمّد علي فضل الله، حيث أصبحت قاعات البعثة، ساحة للتواصل الإيماني بين الحجيج القادمين من كل فجّ عميق.

زيارة البعثات:

وقد قام وفدٌ من البعثة، بزيارة مقرّ بعثة الحج الرسميّة الإيرانيّة، حيث تمّ خلال اللّقاء مع مسؤولي البعثة، تأكيد أهميّة الحفاظ على الخطّ الوحدوي بين المسلمين في مواجهة مشاريع الفتن التي يعدّها الأعداء للأمّة الإسلاميّة، والّتي تستهدف الإسلام كلّه في وجوده وحركته.

وفي إطار التّواصل مع الشّخصيات العلمائيّة، زار وفد البعثة مقر بعثة آية الله السيّد كاظم الحائري، ومقر بعثة آية الله الشّيخ محمّد اليعقوبي، الّذي أشار إلى أنّ سماحة المرجع السيّد فضل الله(ره) ملأ السّاحة الإسلاميّة علماً وجهاداً وحركة، لافتاً إلى أنّ رحيله ترك فراغاً كبيراً في السّاحة الإسلاميّة، نظراً إلى ما يمثّله في وجدان الأمّة.

كما قام الوفد بزيارة سماحة العلامة الشّيخ محمّد باقر الناصري في مقر إقامته في مكّة المكرّمة، وحضر مجلس الفاتحة الّذي أقيم عن روح العلامة الراحل الشّيخ محمّد الصيمري. وقد أكّد الشّيخ النّاصري أنّ رحيل المرجع فضل الله(ره) ترك أثراً كبيراً في نفوس أبناء الأمّة وأجيالها الّتي تربّت على فكر سماحته، ما يحمّل تلامذته مسؤوليّة متابعة هذا الخطّ الّذي يمثّل النّهج الإسلامي الأصيل.

و زار وفدٌ من البعثة مقر بعثة السيّد حسين الصّدر، حيث تمّ البحث في الشّؤون الإسلاميّة العامّة، والأوضاع في العراق بشكلٍ خاص في هذه المرحلة الدّقيقة الّتي تشهد تحولات كبيرة في المنطقة.

استقبال وفود الحجيج:

واستقبلت البعثة في مقرها، وفد حركة الوفاق البحرينيّة، حيث أكد سماحة العلامة السيّد علي فضل الله في كلمة ألقاها،أهمية التّفاعل الكبير مع قضيّة الشّعب البحريني، والوقوف مع مطالبه المحقّة في حركته السلميّة، وسعيه إلى نيل حقوقه المشروعة، معتبراً أنّ الحلّ هو في الاستجابة لإرادة النّاس الّذين يريدون العيش بعزّة وكرامة في وطنهم.

كما لبّى سماحته دعوة عددٍ من حملات الحج البحرينيّة، وألقى محاضرةً تحدّث فيها عن المفاهيم العامّة للحج ودوره في واقع الأمّة، متناولاً قيمة الصّبر وأثرها في حياة الإنسان المسلم.

وقد أقامت البعثة، مجلس فاتحة عن روح سماحة العلامة المرجع السيّد محمد حسين فضل الله(ره)، حضره حشد كبير من الحجيج من دول عربية و إسلامية مختلفة.

كما استقبلت وفداً كبيراً من الحجّاج العراقيّين القادمين من أستراليا، ووفداً من الحجّاج اللّبنانيين القادمين من الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وتحدّث العلامة السيّد علي فضل الله، مشيراً إلى مسؤوليّة المسلمين في المغتربات في تقديم الإسلام المنفتح للغربيين، بعد محاولات التّشويش والتّشويه الّتي تعرّض لها، وخصوصاً في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول.

كما زار البعثة وفد من حجاج أميركا الشماليّة، حيث ألقى العلامة السيّد علي فضل الله فيهم كلمة أكد فيها أهميّة العمل لصوغ استقرار مجتمعاتنا من الدّاخل في مواجهة الموجة المذهبيّة والعناوين الطائفيّة الّتي يراد لها أن تتحكّم بمصيرنا، مشيراً إلى أنّ أقصر الطّرق لهذا الاستقرار تتمثّل بالحوار والتّواصل والعمل للوحدة الوطنيّة، داعياً الجميع إلى التضحية بالحساسيات المذهبيّة ورجم شيطان العصبيّة والحقد الكامن في النفوس.

ربيع الثورات والأزمات

هاني عبدالله

إذا عدنا قليلاً إلى الوراء، وإلى الأحداث التي كانت تصيب لبنان في أيام الحرب اللّبنانيّة، فيما كان العالم العربي يعيش الهدوء المفتوح على فوضى المراحل اللاحقة، نستذكر تشخيص سماحة العلامة المرجع السيِّد محمّد حسين فضل الله(ره) للوضع اللّبناني والنِّظام اللّبناني...

لبنان المعادلة:

فقد كان سماحته يقول في جلسات خاصّة وفي بعض اللّقاءات الإعلاميّة: النّظام اللّبناني هو أقوى نظام عربي، لأنّه ببسَاطة ليس نظاماً، هو معادلة، وكان سماحته(ره) يشير إلى أنّ المعادلة الدوليّة هي الّتي صنعت لبنان على هذه الشّاكلة، وأن لبنان لم يُصنع ليكون وطناً لبنيه، وأنّ التركيبة اللبنانيّة الطائفيّة كفيلة بمنع التّغيير الحقيقي، وأنّ الثّورات يمكن أن تعصف بالأنظمة، ولكنّ المشهد اللّبناني مختلف، فالضّوابط الطائفيّة وتركيبة النّظام الطّائفي تمنع من ذلك في البلد الصّغير الّذي يعيش أهله أجواء الحريّة، ولكنّها الحريّة الّتي تستقطب كلّ مخابرات المنطقة والعالم، ليكون لبنان هو المختبر الّذي يُصار من خلاله إلى رصد الأحوال في طول المنطقة العربية وعرضها.

هذه الرؤية البعيدة حيال لبنان والمنطقة ومستقبل الأوضاع فيهما، نستذكرها في هذه الأيام بالذّات، وخصوصاً في ظلّ ما يعصف بالمنطقة في «ربيعها» الدامي الّذي يُنذر بالمزيد من الاضطرابات والتّحركات، وقد يطلّ على مشاهد تغييريّة في الشّكل وربما في المضمون.

فقد أتاحت المرحلة السّابقة ـ الّتي لا تزال تردّدات زلزالها تتوالى في العالم العربي ـ رؤية الصّورة الأوضح في هشاشة الأنظمة العربيّة، وإمكانية تغييرها من فوق أو من الخارج، لمجرد أن تنطلق إشارةٌ ما مما وراء البحار، أو من خلال دخول حلف «الناتو» على الخط كما حدث في ليبيا، من دون إغفال الموقف الشّعبي العام الّذي لا يطيق هذه الأنظمة، ولكنّه الموقف الّذي كان يبحث عن ثغرة يدخل منها إلى قلب الأنظمة ليعطل حركته، ويسدد ضربته القاضية.

> **المرجع فضل الله(ره) اعتبر أن النظام اللبناني هو أقوى نظام عربي، لأنه ببساطة ليس نظاماً، بل معادلة**

عودة المشروع الأمريكيّ:

ولكنّ الصّورة الّتي بدت واضحة في مشهديتها الأولى إزاء كلّ ما يتّصل بالربيع العربي وتردّداته؛ من تونس، إلى مصر، إلى ليبيا، والبحرين واليمن وسوريا وما إلى ذلك، لا تزال غير واضحة إزاء كلّ ما يتّصل بالمستقبل، حيث يبدو أنّ المسألة لا تتّصل بتوق الشّعوب فحسب إلى الخلاص من الأنظمة، بل تتعداها إلى المحرّك لبعض الخيوط من بعيد، والطّامح لرسم المعادلة على حساب هذه الشّعوب، وربما لحساب الكيان الصّهيوني في نهاية المطاف، أو لترك الأمور تدخل في نطاق الفوضى العارمة، ومن ثمّ الدّخول على خطّها، لتشكيل لوحة سياسيّة وأمنيّة جديدة في المنطقة كلّها..

بكلمة أخرى، لا يبدو أنّ الّذين تحدّثوا عن هزيمة المشروع الأمريكي في المنطقة كانوا محقّين في تشخيصهم ورؤيتهم، أو أنّ هذا المشروع وجد أنّ بإمكانه العودة من طرق جديدة، تارة من خلال «ترميم» الأنظمة مع الإيحاء بأنّه تمّ استبدالها تماماً، وطوراً من خلال إفساح المجال لعناصر جديدة لكي تأخذ دورها في عملية «التّرسيم» السياسيّة الجديدة في أكثر من بلد عربي، ولتشكّل هذه العناصر دعامة جديدة في البناء العام، مستندة إلى إمكاناتها الشّعبيّة وطموحاتها، وإلى التبدّلات السّريعة في المشهد السياسي العام في المنطقة والعالم، لكي تُحدث الفارق الّذي لا يرعى أصحاب المشروع الغربي الجديد بأنّه سيصيبهم على المستوى الاستراتيجيّ، وإن اختلف التّكتيك...

الأزمة السوريّة: تداعيات وأبعاد

ولكنّ المشكلة تبقى في كيفيّة «صياغة» التّغيير في هذا الموقع العربي أو ذاك، فإذا كانت المسألة في بداياتها قد تمّت من خلال مغادرة هذا الرئيس، واستجابة ذاك «لنصائح» أتته من هنا وهناك، كما كانت الحال في تونس ومصر، أو من خلال التدخّل المباشر لحلف «الناتو» كما حصل في ليبيا، أو من خلال عمليات الإصلاح الأوليّة الّتي اعتمدتها بعض الأنظمة كما في الغرب، أو «التّقديمات» الّتي حصلت في بعض دول الخليج أو عمليّة «المناصفة» الّتي يأخذ فيها هذا نصف الكعكة وذاك النّصف، كما هي الحال في اليمن..

فإنّ الأمور لا تبدو على هذا النّحو في سوريا، أو إنّ تطوّرات المشهد السّوري الّذي دخلت فيه الجامعة العربيّة على خطّ الأزمة باندفاعة كبيرة، توحي بأنّها شربتَ «حليب السّباع»، قد تقود إلى تغيير كبير ليس على المستوى السّوري فحسب، بل على مستوى المنطقة كلّها، فقد بدأ الحديث الهامس في أكثر من مكان حول أنّ شكل التّغيير القادم في سوريا سوف يفرض نفسه على المنطقة بأسرها، فإذا استطاع النّظام استيعاب «الموجة الثانية» من الهجوم الّتي تقودها الجامعة العربيّة ومن يقف وراءها، سوف تكون لذلك تداعياته على أكثر من صعيد، وإذا حصل العكس وجاء التّغيير من الداخل، فإنّ شكل هذا التّغيير سيفرض نفسه على المحيط أيضاً..

من هنا، فإنّ «التّسوية» الّتي قد تنشأ هنا ستترك آثارها، بحيث لا نطلّ على مرحلة دمويّة مدمّرة، أما أن تصل الأمور إلى الحرب الأهليّة الّتي تحدّثت عنها وزيرة الخارجيّة الأمريكيّة، فإنّ المشهد عندها سيطلّ بالأزمة على العناوين الطائفيّة والمذهبيّة الّتي لا تُلهب الميدان السّوري فقط، بل قد تنتقل إلى المواقع المحيطة بطريقةٍ دراماتيكيّة.

استهداف جدار الممانعة:

وهنا يبرز السّؤال حول الوسائل الّتي يعتمدها المشروع الغربيّ الجديد في المنطقة؛ هل هي وسائل «عاديّة»، أم أنّ أسلوب التّدمير المنهجيّ المذهبيّ والطّائفيّ، سيكون هو الخيار في نهاية المطاف، انطلاقاً من الموقع السّوريّ؟!..

يتحدّث الكثيرون في هذا المجال عن أساليب جديدة أقدمت عليها إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما، تختلف عن تلك الّتي اعتمدتها إدارة «بوش» الابن، وأنّها ـ في رؤيتها ـ المستجدّة وجدت أنّ إعادة تشكيل المنطقة يمكن أن تحصل في حالين: إما من خلال التّغيير الفوقي، أي دفع الأنظمة إلى التّسليم بالواقع الجديد والخروج من دائرة اللّعبة تماماً، أو من خلال التّغيير المستند إلى إذكاء عناصر الفتنة الداخليّة، سواء أكانت سياسيّة أم طائفيّة أم مذهبيّة، والكلام هنا عن «بيضة القبّان» يتركّز على سوريا ومصر أيضاً.. والكلّ يُراقب المشهدين، مع استذكار لبعض ما تحدّث به الرئيس المصري الأسبق جمال عبد النّاصر في أعقاب سقوط مشروع الوحدة بين سوريا ومصر، من أنّه لا يخاف على مصر إذا سقطت، بل على سوريا، حيث اختزنت هذه الكلمة رؤيته لحساسيّة الموقع السوري وأهميّته، وخطورة تداعيه على الوضع العربي بكامله..

وعلى كلّ حال، فإنّ المراقب لسير الأمور في ربيع الأزمات العربيّة، يلاحظ أنّ القرار الخطير على المستوى الدّولي العام قد اتخذ، وأنّ الإدارات الغربيّة الرّئيسة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة والاتحاد الأوروبي، قد قرّرت الذهاب بعيداً في كسر كلّ المحرّمات لإحداث انكسار في جدار «الممانعة»، انطلاقاً من الجسم الرّخو والموقع الحسّاس في سوريا، مع ما قد يعنيه ذلك من انكشاف المشهد العام في المنطقة على تطوّرات خطيرة قادمة لا يمكن رصد نتائجها من الآن، ولكنّ الأشهر القليلة القادمة الّتي تسبق الرّبيع ستكون حاسمة في الإجابة عن كثير من التّساؤلات.

وليفرز الرّبيع القادم واقعاً جديداً، لا يمكن التنبؤ من الآن بمعطياته، ولكن يبدو أنّ الاشتباك الّذي بدأ سياسياً بين مشروعين، ودخل في النّطاق الأمني ثم الاقتصادي، قد يصل إلى مستوى الصّدام.. وعند الصّدام الكبير، ستذهب المنطقة إلى تشكّل جديد، نأمل أن يكون على مستوى طُموحات الشّعوب، لا أن يأتي لحساب المشاريع الوافدة...

> **إنّ تطورات المشهد السوري الذي دخلت فيه الجامعة العربية على الخط، قد تقود إلى تغيير كبير على مستوى المنطقة كلها**

عضويّة فلسطين في منظّمة «اليونيسكو»:

أمريكا في مواجهة العالم

إنجاز فلسطيني تحقّق في محفل دولي عالمي، وعلى مرأى العالم ومسمعه، حيث نالت فلسطين حق العضويّة الكاملة، في منظّمة الأمم المتّحدة للتّربية والعلم والثّقافة «اليونسكو»، وذلك بعد تصويت الجمعيّة العامّة للمنظّمة على قرار يقضي بقبول فلسطين عضواً فيها، بإجماع عكس حجم تأييد المجتمع الدّولي لحقوق الشّعب الفلسطيني ومطالبه المشروعة، من خلال تبنّي وتأييد ١٠٧ دول للقرار، في مقابل رفض ١٤ دولة له.

وقد جاءت الولايات المتّحدة الأميركيّة على رأس الدّول الرافضة للقرار، إضافةً إلى ألمانيا وكندا ولاتفيا ورومانيا وبعض الدّول الأخرى، حيث أبدى البيت الأبيض اعتراضه الشّديد عليه، معتبراً أنّه قرار سابق لأوانه، وأنّه «يقوّض هدف المجتمع الدّولي المشترك لسلام عادلٍ وشاملٍ ودائم في الشّرق الأوسط، إلى جانب أنّه يبعد عن الهدف المشترك المتمثّل بالمفاوضات المباشرة الّتي تؤدّي إلى إسرائيل آمنة، وفلسطين مستقلّة»، كما ادّعى.

ولم تكتف أميركا بالرّفض، بل قرّرت معاقبة الإجماع العالمي على القرار من خلال وقف تمويلها المنظّمة، وهي الّتي تساهم بحوالى ٨٠ مليون دولار، أي ما يقدّر بـ ٢٢ في المائة من إجمالي ميزانيّتها، وقد جاء ذلك ادّعاءً منها بالالتزام بقانونين أقرّهما الكونغرس في ١٩٩٠ و١٩٩٤، يحظران تمويل ودعم أيّ وكالة تابعة للأمم المتّحدة تمنح فلسطين العضويّة الكاملة وتعترف بها كدولة، ما لم يتمّ التّوصل إلى اتّفاق سلام في الشّرق الأوسط..

ولا شكّ في أنّ هذا الموقف الأميركيّ المتشدّد من القضيّة الفلسطينيّة، جاء معارضاً لكلّ الالتزامات الإنسانيّة والأخلاقيّة الّتي تتغنّى بها الأخيرة، كما عكس بوضوح ازدواجيّة المعايير الّتي تتعاطى بها، إلى جانب تعارضه مع أسس العدالة وإحقاق الحقّ ونصرة المظلوم.

وبينما اكتفت أمريكا بممارسة الضّغوط على الدّول المشاركة في المؤتمر كي تصوّت ضدّ نيل فلسطين عضويّتها في منظّمة اليونسكو، فإنّ موقفها هذا يبدو خطوةً استباقيّةً ضدّ طلب العضويّة الكاملة في منظّمة الأمم المتّحدة، حيث تهدّد باستخدام حقّ النّقض (الفيتو) من أجل منع ذلك.

ازدواجيّة المعايير:

الجبروت الإستكباري:

ورغم معارضتها للرأي العام العالمي، فمواقف الولايات المتّحدة لا تبدو مفاجئة، فلطالما شهد العالم بأجمعه سعيها لإسقاط أيّة إمكانيّة لقيام كيان فلسطيني ناهض ومستقلّ وقابل للحياة، وهذا ما كان يؤكّده سماحة العلامة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله(ره)، الّذي اعتبر أنّ أميركا تعيش في الداخل عنفوانها الجبروتي الاستكباري الّذي يشعرها بأنّها القوّة الأولى في العالم، حيث يقول سماحته: «إنّ أمريكا بدأت تفكّر أنّه ليس هناك من يستطيع الاعتراض عليها، فالأمم المتّحدة في قبضتها، فلا تستطيع إصدار أيّ قرار ضدّ إسرائيل أو ضدّ أيّ خطّ سياسيّ يختلف عن الخطّ الأمريكيّ.. حتّى إنّ الدّول الكبرى الّتي تملك حقّ النقض الفيتو، بدأت تشعر بأنّ الضّغط الأمريكيّ يمنعها من استخدام هذا الحقّ ضدّ السياسة الأمريكية، لأنّ مصالحها تتعرّض للضّغوط من جانب أمريكا، ولا سيّما المصالح الاقتصاديّة»..

ويعتبر سماحته، أنّ أميركا «أصبحت تتصرّف على أساس أنّ قراراتها هي القرارات الّتي يجب على العالم الموافقة عليها وأن يتقبّلها، حتّى إنّها أصبحت تشرّع في داخل أراضيها كثيراً من القوانين التي هي ضدّ حقوق الإنسان التي تطالب أمريكا العالم بمراعاتها وتطبيقها والموافقة عليها».

وبعكس ادّعاءات الغرب التزامه الحريّات وحقوق الإنسان، لطالما رأى سماحة العلامة المرجع فضل الله(ره) «أنّ أمريكا والدّول الأوروبيّة، لا تلتزم المعايير الأخلاقيّة في القيم الإنسانيّة، بل تلتزم بمصالحها الماديّة الاستراتيجيّة»، وهي الّتي ملأت الدّنيا حروباً والعالم قتلاً والثّروات نهباً..

> **لم تكتف أميركا بالرّفض، بل قرّرت معاقبة الإجماع العالمي على القرار من خلال وقف تمويل المنظمة**

ردود الفعل الصّهيونيّة:

من جهتها، عبّرت «إسرائيل» عن استيائها من الخبر بأسلوب انفعاليّ، فقد أشارت على لسان مسؤوليها إلى أنّ القرار لن يؤدّي إلى تحويل الكيان الفلسطيني إلى دولة فعليّة، بل سيراكم صعوبات زائدة على طريق المفاوضات، إضافةً إلى أنّه «مناورة فلسطينيّة آحاديّة، لن تقود إلى أيّ تغيير في الواقع، بل ستبعد فرص التوصّل إلى اتّفاق سلام». وقد استتبعت التّصريحات جملة من الإجراءات التعسفيّة، أبرزها إعلان بناء وحدات استيطانيّة جديدة في القدس الشرقيّة والضفّة الغربيّة المحتلّة، وتسريع وتيرته وتكثيفه. ومن النّاحية الاقتصاديّة، أعلن الكيان الصّهيونيّ تجميد عائدات الضّرائب والجمارك المستحقّة للسّلطة الفلسطينيّة. أمّا ميدانياً، فقد أطلق الجيش الإسرائيلي عمليّةً بريّةً في قطاع غزّة لوقف إطلاق الصّواريخ من قبل فصائل المقاومة الفلسطينيّة، مهدّداً السكان باستهدافهم في حال اقترابهم من السياج بين القطاع وإسرائيل، إلى جانب تعطيلها خدمات شبكة الإنترنت، وسحب تصاريح التنقّل من المسؤولين الفلسطينيين.

قبول عضويّة فلسطين في «اليونيسكو»، استتبعه العديد من ردود الفعل، ولا سيّما وسط تقارير تتحدّث عن طلب الفلسطينيّين الانضمام إلى هيئات دوليّة أخرى، مثل منظّمة الملكيّة الفكريّة التابعة للأمم المتّحدة، ومنظّمة الاتّصالات الدّوليّة، ومنظّمة العمل العالميّة، والوكالة الدّوليّة للطّاقة النّوويّة، حيث يشكّل انضمامها إلى «اليونسكو» مؤشّراً على تزايد الاعتراف والقناعة الدّوليّة بحقّ الشعب الفلسطيني بدولة مستقلّة خاصّة به، ومقدّمةً لأن تثبت حضورها في كلّ المحافل الدّوليّة، مع الإشارة إلى أنّ «اليونسكو» منظّمة دوليّة متخصّصة تعنى بميادين التّربية والعلوم والثّقافة، ولا تتدخّل بالشّأن السياسي أو تُصدر قرارات ملزمة.

إنّ مراجعةً للسّياق التّاريخيّ للسّياسات والمواقف الدّوليّة العالميّة، يجعلنا نتساءل: هل سيمهّد القرار لاعتراف دوليّ أكبر وأكثر شمولاً واعترافاً بحقوق الشّعب الفلسطيني، أو أنّه سيدفع الإدارة الأمريكيّة إلى مزيدٍ من التشدّد لقطع الطريق على أيّ اعتراف بهذه الحقوق، ما يكشف من جديد الوجه الحقيقيّ لهذه الإدارة، الّتي لا تمانع أن تقف وحيدةً في وجه العالم أجمع، من أجل حفظ الكيان الصّهيوني وحماية مصالحها؟!

نور بكري

صراع المناهج التربويّة بين الصهاينة والفلسطينيين

لا يقتصر الصراع مع الكيان الصهيوني على الجانب العسكري والأمني، لأنه صراع وجود، يمتدّ إلى جميع المستويات، بما فيها الفكر والثقافة والتربية والمجتمع، لأن هذا الكيان الذي قام على العدوان، والذي يعرف انه جسم طارئ على المنطقة، يحاول ان يكرّس وجوده بالتشديد على يهودية الكيان.

تشويه الحقائق:

فبعد أكثر من نصف قرن على نشأة الكيان، لا يزال الصهاينة يواجهون أزمات الهوية والوجود، وهذا ما يفسّر إهتمامهم بالتهويد، وخوفهم من الوجود العربي في فلسطين، حتى بالنسبة لما يسمّى «عرب ٤٨» الذين لم تستطع كل المحاولات، أن تمسخ هويتهم.

ويخوض الكيان الصّهيوني اليوم «حرب مناهج» مع الفلسطينيّن، بهدف محو الهويّة العربيّة والإسلاميّة، حيث تقوم قوّات الاحتلال بتجنيد إمكانياتها الدبلوماسيّة والإعلاميّة على المستويين المحلي والخارجي، لاستبدال المناهج الفلسطينيّة بمناهج «إسرائيليّة» معدّلة تخدم مصالحها وتوجّهاتها.

وفي هذا السّياق، مارست الجهات اليمينيّة الإسرائيليّة ضغوطاً على عدد من الدول لوقف الدعم المقدّم للسلطة الفلسطينيّة الوطنيّة لطباعة الكتب، كما شنّت حملةً على المناهج الفلسطينيّة، تحت حجّة أنّها مناهج تحريضيّة تغذّي العنف والتطرّف، وليس فيها مبادئ التّسامح والتصالح بين الأمم والشعوب. وقد عمدت السّلطات الإسرائيليّة إلى إعادة طباعة الكتب الدراسيّة الفلسطينية، وإلغاء بعض الفقرات والكلمات ذات العلاقة بالهويّة الوطنيّة، إضافةً إلى حذف شعار السّلطة الفلسطينيّة عن الكتب، أو تغطيته بملصق خاصّ يحمل شعار بلديّة الاحتلال، ثمّ توزيعها على المدارس، رغم أنّها ليست المنهج المعتمد من وزارة التربية والتعليم الفلسطينية.

وتتضمّن النّسخ الموزّعة أفكاراً مشوّهة ومحرّفة تكرّس عمليّة تهويد مدينة القدس وعزلها عن الواقع الفلسطيني، إضافةً إلى إلغاء كلمات تتعلّق بالانتفاضة، منها كلمة «شهيد، فلسطين التاريخيّة، القدس المحتلّة»... وحذف الآيات القرآنيّة الّتي تتحدّث عن بني «إسرائيل» والفساد في الأرض، وتلك الّتي تحثّ على الجهاد وردّ العدوان، واستبدالها بتدريس التّوراة و«الأساطير اليهوديّة»، وشطب العلم الفلسطيني، وحذف القصائد الّتي ترسّخ الانتماء والهويّة الفلسطينيّة..

كما عمدت هذه السّلطات إلى تشويه الحقائق الّتي تضمّنتها المناهج القديمة، وإلى الإساءة إلى الدّين الإسلاميّ والحضارة العربيّة، إضافة إلى تغييب دراسة الشّعر العربي في الجزء المتحدّث عن البطولات العربيّة وعن فلسطين، واعتماد موادّ خاصّة تسمّى الأدب «الإسرائيلي»، كقصص وروايات «إسرائيليّة» عن المحرقة

تساهم الكثير من الكتب الدراسيّة الصادرة في الغرب، والتي يتمّ تسويقها في بعض البلدان العربيّة، في تجميل صورة الكيان الصهيوني، حيث تقدّم شارون كرجل سلام، وتشير إلى «اسرائيل» ككيان طبيعي

وغيرها، إلى جانب استبدال أسماء المدن الفلسطينية الرئيسة بأسماء عبريّة، بهدف طمس معالم الشخصيّة العربيّة وتشويهها وإنكار حقّها في الوجود على أرض فلسطين.

كما أنّها فرضت على المدارس وعلى الجهاز التّعليميّ، الحصول على تراخيص تجيز لها الاستمراريّة في ممارسة نشاطاتها، إضافةً إلى الإشراف على برامج التّعليم ومصادر تمويل هذه المدارس.

وفي محاولة منها لترسيخ فكرة أنّ العرب غرباء ليس لهم أيّ حقّ في فلسطين، تواصل وزارة المعارف في المؤسّسة الإسرائيليّة، تهويد المناهج الدراسيّة العربيّة، وتعدّ سلسلة التّغييرات المتّبعة مقدّمةً لفرض المناهج الإسرائيليّة.

حملة مبرمجة :

وقد تداعت المؤسّسات في فلسطين مستنكرةً محاولات تحريف المنهاج الفلسطينيّ في المدارس، حيث يشير وكيل وزارة التربية والتّعليم العالي الفلسطينيّة، إلى أنّ إسرائيل تشنّ حملةً مبرمجةً على المناهج الفلسطينيّة في مدارس القدس، معتبراً أنّ تحريف المناهج والكتب المقرّرة كان تعبيراً عن شراسة الهجمة، فالتّحريف شمل جميع الكتب، بما فيها كتب الفنون والحرف..

أمّا التركيز الأكبر، فكان على اللّغة العربيّة، والتّربية الإسلاميّة، والتّاريخ، والجغرافيا، مبيّناً تفاوت حجم الحذف من مبحث لآخر، ومن صفّ إلى صف، إذ حذفت نصوص ودروس بأكملها، بحيث أصبح من الصّعب فهم ما تبقّى منها، لافتاً إلى أنّ إدارة وزارة المعارف الإسرائيليّة طالبت المدارس التّابعة لها والمدارس الخاصّة، بتدريس الكتب رغم أنّها محرّفة. كما أكّد أنّ النصوص الّتي حذفت توضح بجلاء السّعي لتفريغ المناهج من محتواها القيميّ، وما تجسّده من أبعاد الهويّة الوطنيّة، علاوةً على استهداف أجزاء من بنيتها المعرفيّة.

وفي دراسة بعنوان «إضاءات على التّعليم الفلسطينيّ في القدس»، رأى الباحث طاهر النمري، أنّ السلطات «الإسرائيلية» منذ احتلالها مدينة القدس في عام ١٩٦٧م، تسعى جاهدةً إلى تقويض قطاع التعليم وربطه بجهات التعليم «الإسرائيلي» إشرافاً وإدارة، عبر سلسلة من الإجراءات والقرارات السياسيّة، ما أفقد الجانب الفلسطينيّ حقّ الإشراف على المؤسّسات التعليميّة الرّسمية والخاصّة في مدينة القدس ومحافظاتها.

كما كشف البحث الّذي أجراه الطاقم الأكاديميّ لمشروع «المناهج والهويّة»، عن وجود أكثر من ١٦٠٠٠ خطأ لغويّ، وعن منهجيّة واضحة لتشويه الهويّة الوطنيّة والثقافيّة الحضاريّة للطالب العربيّ، من خلال ارتكاز مناهج التاريخ والموطن والجغرافيا، وحتى كتب اللّغتين العبريّة والإنجليزيّة، على التاريخ اليهوديّ والتوراتيّ والرواية الصهيونيّة الرسميّة، وإنكارها التامّ لوجود الشعب الفلسطينيّ، واحتوائها على وجهة نظر استشراقيّة تحطّ من مكانة الحضارة العربيّة.

وعلى ضوء ما جرى، أبدى مستشار منظّمة اليونسكو في الضفّة الغربيّة وغزة، أويفند نوستروم، استياءه من حجم التّدخّلات الإسرائيليّة في المناهج الفلسطينيّة، الّتي تقوم على حذف العبارات والمقاطع والنّصوص الّتي تقول إنّها «تحرّض على معاداة الصهيونيّة، وتغذّي النزاعات بين الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي»، في الوقت الّذي لا تبدي إسرائيل أيّ استعداد لتغيير أيّ معلومة أو معطى تاريخيّ تدرّسه لطلابها في كتب التّاريخ المعتمدة لديها. كما ينقل عن باحثة إسرائيليّة قولها إنّ المناهج الإسرائيلية «تحرّض على الكراهية تجاه العرب والفلسطينيّين وعدم قول الحقيقة في ما يتعلّق بالتاريخ»، كذلك أثبت العديد من المؤرّخين الإسرائيليّين، بحسب نوستروم، «أنّ الكتب المدرسيّة الإسرائيليّة غير منطقية ومختلقة».

ويرى الخبير الأميركي، جوناثان براون، الأستاذ في جامعة جورج تاون والمستشار للجان الكونغرس الأميركي، أنّ ما تدّعيه جهات إسرائيليّة بخصوص المناهج الفلسطينيّة غير دقيق، معتبراً أنّ المقاربة العامّة للمناهج سليمة، وأنّ الطلب من الفلسطينيّين عدم ذكر المدن الفلسطينيّة التاريخيّة مثلاً، هو محو للذّاكرة الوطنيّة الفلسطينيّة، وإنكار لحقّ الفلسطينيّين في وعي تاريخ فلسطين.

يشار إلى أنّ البرلمان الأوروبّيّ الّذي ناقش الموضوع، واطّلع على العديد من الدّراسات والتّقارير المتعلّقة بهذا الشّأن، أصدر تصريحاً رسمياً أوضح فيه أنّ الادّعاءات ضدّ المناهج الفلسطينيّة لا أساس لها، وهو ما أثار حفيظة الجانب الإسرائيليّ اليمينيّ.

أمّا من ناحية الأسلوب والعرض التّربويّ، فقد أكّد الباحث الألماني ولفارم في دراسة له، أنّ الكتب الفلسطينيّة أفضل بكثير من ناحية الأسلوب والعرض التّربويّ من غيرها. وبالنّسبة إلى الجانب السياسيّ، أشار إلى أنّ التفسيرات الإسرائيليّة المقدّمة حول المناهج الفلسطينيّة مبالغ فيها، وهي جزء من الدعاية الإسرائيلية ضدّ السلطة الفلسطينيّة، لافتاً إلى أنّه من المستحيل أن نجد مقاربة دينيّة متسامحة باتجاه الأديان كما في الكتب الفلسطينيّة.

محاولات الإختراق:

وتساهم الكثير من الكتب الدراسيّة، وخصوصاً كتب اللغتين الإنكليزيّة والفرنسيّة، الصادرة في الغرب بحسب المناهج الأوروبية والامريكية، والتي يتمّ تسويقها في بعض البلدان العربيّة، في تجميل صورة الكيان الصهيوني، حيث تقدّم الإرهابي والمجرم شارون كرجل سلام، وتشير إلى «اسرائيل» ككيان طبيعي، وواحة للديمقراطيّة، والخطير في الأمر، أن هذه الكتب، تتسلل إلى المدارس العربيّة، باعتبارها كتب دراسيّة حديثة، توافق المناهج الغربيّة في تعليم اللغات الاجنبيّة، دون التفات الى خطورة ما تتضمنه من ايحاءات تستهدف التأثير على وعي الناشئة، وتجميل صورة العدو، وكسر الحواجز الدينيّة والإخلاقيّة التي تحرّم مختلف مستويات التعامل معه.

يسعى الكيان الصّهيوني إلى محو الهويّة العربيّة والإسلاميّة، حيث يجند كل إمكانياته، لاستبدال المناهج الفلسطينيّة بمناهج «إسرائيليّة» معدّلة تخدم مصالحه وتوجّهاته

آثار الإسلام في مكّة مهددة بالضياع

يشكّل تاريخ مكّة المكرّمة، قسماً كبيراً من تاريخ الإسلام وحضارته، حيث تضمّ هذه المدينة المقدّسة، أهم الآثار التاريخيّة وأكثرها قيمة ومكانة؛ من الكعبة المشرّفة إلى المساجد، وغيرها من الأماكن ذات القيمة الدينيّة والروحيّة والعمرانيّة العميقة الّتي ارتبطت بالوحي وبرسالة الدّين الإسلاميّ، ونظراً إلى قدسيّة هذه الأماكن وإلى ارتباطها بالسّيرة النبويّة وبالجذور التاريخيّة للإسلام، فإنّ المحافظة عليها هو مسؤوليّة المسلمين جميعاً، حتى يكون التاريخ دليلاً على أصالة الحضارة الإسلاميّة وعراقتها.

في هذا المبنى ولد رسول الله (ص)

هدم آثار النبوة:

هذه الآثار الّتي حفظت على مدى ١٤٠٠ عام، تهدّد اليوم بالطّمس والتّهديم، بحجّة أنّ إشهار هذه المعالم يتيح لمن يسمّون «ذوي العقائد الفاسدة والضّعيفة»، أن ينشغلوا بالآثار ليتبرّكوا بها ويتمسّحوا، وهو ما يسمّونه أيضاً «بالبدع»، ووسط ادّعاءات أخرى تقول إنّ الصّلاة عند الأماكن المقدّسة يجعلها شبيهةً بعبادة الأصنام. والكثير من الحجّاج ومن سكان مكّة، باتوا يشكون اليوم من الطّمس المستمرّ لمعالم المدينة المكرّمة وآثارها التاريخيّة، ويرون في هدم آثار النبوّة وآثار أهل البيت(ع) وقبورهم ومنازلهم إساءةً إليهم، وهتكاً لحرمتهم.

والحجّة الثّانية الّتي يتذرّعون بها، هي توسيع الحرم لاستيعاب عدد أكبر من الحجيج وتوفير السّكن لهم، ومعالجة مشاكل الازدحام في الحرمين الشّريفين. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ المحافظة على المعالم التاريخيّة وصيانتها، لا يتعارض مع الخطط والمشاريع العمرانيّة وشقّ الطّرق وإنشاء الجسور، بما يسهّل تدفّق الحجّاج وتسهيل تنقّلهم، ويمكنهم هنا أن يقوموا بإزالة المباني والعمارات الآيلة للسّقوط، والّتي بالفعل سقطت على الحجيج وقتلت عدداً منهم.

ففي الوقت الّذي تلجأ الأمم والشّعوب الّتي لا تاريخ لها ولا حضارة إلى تمجيد الأساطير والخرافات الّتي تعتقد بها، يعمد البعض من المسلمين إلى هدم المساجد والمواقع الأثريّة الإسلاميّة الّتي تعتبر عنوان مجدها ودليل عراقتها، دون احترام لمشاعر المسلمين وحقوقهم في هذا التّراث المقدّس. وقد برزت مجموعة من المواقف الّتي استنكرت ما يحصل في مكّة، حيث أشار رئيس مؤسّسة التّراث الإسلاميّ، الدّكتور عرفان علوي، إلى أنّ المدينة المقدّسة لم تعد تحتفظ بتلك الرّوحانيّة الّتي كانت عليها في العقود الماضية، وخصوصاً بعد عمليّات المحو المستمرّة لبعض الآثار، والّتي طالت كلّ شيء في مكّة المكرّمة. كما استعرض مراحل هدم الآثار الإسلاميّة، بما في ذلك الكعبة المشرّفة الّتي هدِّمت في العام ١٩٩٦، وتم رمي أحجارها في البحر الأحمر، وتمّ استبدالها بأحجار بلاستيكيّة.

إعتراض واستنكار:

وقد أثارت هذه المخطّطات السّاعية إلى محو المعالم الأثريّة والتّاريخيّة الإسلاميّة، حفيظة المؤرّخين والمهتمّين بالآثار، الّذين اعتبروا أنّ التبرّك بهذه الأماكن وزيارتها ليس مبرّراً لإزالتها. حيث يشير المعماري، الدّكتور سامي محسن عنقاوي، الحاصل على دكتوراه في المعمار الحجازي الإسلامي، والمحاضر السّابق في متحف التّراث والفنون التّابع لجامعة هارفارد، إلى أنّ مكّة بلد مقدّس غنيّ بالآثار منذ ما قبل عصر النبيّ(ص) حتّى الآن، مشيراً إلى أنّ الحفريّات الّتي أزيلت كانت مليئةً بالآثار القديمة، مؤكّداً أنّ في مكّة المكرمة وحدها أكثر من ٣٠٠ أثر تم طمسها ومحو معالمها، خلافاً لآثار المدينة المنوّرة والمشاعر.

كما اعتبر أنّ هناك من قرّر أنّ هذه الآثار تمسّ العقيدة والدّين، وتم محو هذه الآثار رغم أنّها تؤكّد الدّين ومبادئ العقيدة، والهدف من زيارتها استلهام العظة والعبرة، وليس السياحة الدينيّة كما يقال.

وحول الآثار المطموسة، لفت عنقاوي إلى أنّها كثيرة، وقد تمّ تحديدها وتسييجها بحاجز حديدي، وأنّها مسجّلة كتابةً وصوراً للأمانة وللتاريخ، ومنها منزل السيّدة خديجة، الّذي عاش فيه الرّسول فترةً من حياته، وهو يقع اليوم أسفل «الحمّامات»، معتبراً أنّ هذا الموضع كان من المفترض أن يكون مسجداً، لأنّ الرّسول(ص) كان يصلّي فيه. ورأى أنّ العالم الإسلاميّ قامت قيامته ولم تقعد بسبب تصوير الرّسول في مجلّة دانمركيّة، في الوقت الّذي لم يتحرّك أحد من الحكومات ولا الشعوب لإزالة القذارة عن بيت الرّسول وزوجه خديجة في مكّة. مع الإشارة أيضاً إلى الكثير من الآثار الّتي أزيلت، ومنها مكان مولد النّبي(ص) الّذي تقوم فيه الآن مكتبة مكّة المكرّمة خلف المروة، ومسجد «الرّاية» الّذي أزيل قبل ستّة أشهر، وهو المكان الّذي ركّز فيه النّبي(ص) رايته يوم الفتح، ومسجد «الغنم» حيث بايع أهل مكّة وعفا عنهم، ومسجد «الجن»، ومسجد «الإجابة»...

الهدم مستمر:

وقد لفت إلى أنّ مسلسل الهدم لا زال مستمرّاً، وأنّ نظام الآثار المعمول به في الدّولة لا يؤخذ به في المدينتين مكّة والمدينة، حيث لحق الهدم بهما ولا زال، تحت ذرائع شتّى وطرق واهية، وبمناسبة وغير مناسبة. مشيراً إلى أنّ الآثار الموجودة مكملة للسّيرة النبويّة، ومكملة لسيرة العالم الإسلامي. أمّا آثار المدينة المنوّرة، فاعتبر عنقاوي أنّ الوضع فيها أسوأ، إذ هدّمت أغلب آثارها.

إنّ ما يحدث يستدعي من المسلمين جميعاً إعلاء الصّوت للدّفاع عن جزء مهمّ من تاريخ الإسلام وحضارته، لأنّ هذه الآثار، سواء في مكّة أو المدينة، هي جزء من تاريخ المسلمين؛ كلّ المسلمين، وإزالتها لا يمسّ مسلمي منطقة دون أخرى أو فئة دون أخرى، بل هو أمر يتعلّق بالمسلمين جميعاً، وبالتّالي لا يحقّ لأحد التصرّف فيها تحت أيّ حجّة أو اعتبار.

فقه الحياة

وفقاً لرأي سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله

مكان دفن السيّدة زينب(ع)

– هناك ثلاث روايات حول مكان دفن السيدة زينب(ع): الشّام، ومصر، والمدينة، ما السبب في هذا التعدّد في الروايات، وما سبب ترجيح الشّام رغم صعوبة تصديق رجوع السيّدة زينب إليها؟

–أنا شخصياً لا أشجّع هذا النوع من الجدل، نحن ممتنّون بأن يكون مقام السيدة زينب في الشام وفي مصر وفي المدينة وفي كل مكان، وليس هناك خسارة في ذلك.

وعلى كلّ حال، ينبغي أن نعيش في الزيارة آفاق السيّدة زينب، وعندئذ لن يهمّ كونها مدفونةً في الشام أو في مصر أو في المدينة. ثم إنّ هذه المقامات هي مواقع يُذكر فيها أهل البيت، وينفتح فيها النّاس على الإسلام من خلالهم(ع). ولهذا فنحن لا نشجّع على التشكيك في مكان مراقد أهل البيت(ع).

نعم، الزيارة ـ كما أشرنا ـ ليس معناها أن تجلس وتقبّل القفص وحسب، بل الزّيارة هي أن تتصوّر السيدة زينب(ع)، وعظمة السيدة زينب، وبطولتها، وتقواها، وعلوّ مقامها عند الله، وشجاعة موقفها في سبيل الحقّ والعدل، هذا هو الذي نحتاج إلى أن نستفيده من السيّدة زينب من كلّ الزيارات، وأن لا تكون مجرّد تقاليد وعادات، وعندما نزورها، علينا أن نزور عقلها، ونزور بطولتها وشجاعتها.

مفهوم الإسلام السياسي

– ما مفهومكم للإسلام السّياسيّ، وهل لا بدّ له بالضّرورة من أن يختلف ويتعارض مع الإسلام التّقليديّ، إن صحّ التّعبير؟

–ربما كانت هذه المصطلحات منطلقةً من الواقع المتخلّف مقابل واقع يريد أن يتخلّص من تخلّفه هذا، فنحن لا يوجد لدينا إسلامان؛ إسلام سياسي، وإسلام بعيد عن السياسة، أو إسلام تقليديّ، وآخر منفتح.

إنّ الإسلام هو دين الله الذي أنزله على رسوله(ص) في كتابه، والذي حرّكه رسول الله(ص)، والذي عاش الأئمّة(ع) والصّحابة والعلماء حركته في تجاربهم بطريقة أو بأخرى، مع اختلاف مواقعهم التي قد تلتقي بالعصمة في بعضها، وقد لا تلتقي بها. والمسألة هي أنّ المسلمين عاشوا فترةً من الزّمن انعزلوا فيها عن مواجهة القضايا العامّة، وانكفؤوا فيها على عبادتهم وطقوسهم وأوضاعهم الأخلاقيّة الخاصّة بعيداً عن كلّ التحدّيات.

وهكذا نشأ واقعٌ يبتعد عن السّياسة، ولا يريد للمسلمين أن ينفتحوا على القضايا السياسيّة في مواجهة القضايا الكبرى، لأنّ هناك مفاهيم فرضت نفسها على المسلمين، وجعلتهم يفكّرون في أنّ مواجهة القوى المتحدّية يمثّل إلقاءً للنّفس في التّهلكة، في ظلّ عدم وجود تكافؤٍ بين حجم القوى لديهم، وحجم القوى لدى الآخرين، إلى جانب أنّ بعض المسلمين كان ينتظر آخر الزّمان حتى يتحقّق العدل والإصلاح. فهذا يأس عقيديّ من أنّه لا يمكن أن يكون هناك إصلاحٌ قبل آخر الزّمان.

هناك إذاً واقع متخلّف انطلق المسلمون الواعون المثقّفون المنفتحون على قضايا الإسلام من أجل مواجهته، لأنهم رأوا خطأ المفهوم الآخر، فالمسألة تتلخّص في وجود فهم متقدّم للإسلام مقابل فهم متخلّف. ومن ثمّ، فإنّ حركة الإسلام التّقليديّ والإسلام المنفتح تسير في هذا الاتجاه؛ فالإسلام التقليديّ يمثّل حركة ثقافيّةً في فهم الإسلام في الدّوائر الضيّقة التي لا تنفتح على الحياة ولا تعالج مشاكل الواقع، بل تظلّ قابعةً تجترّ المفردات الفقهيّة أو المفردات الفكريّة بصيغتها التاريخيّة ولا تحاول أن تجتهد كما اجتهد الأقدمون، وأن تغيّر في الأساليب والأشكال كما غيّر الآخرون. لذلك نقول إنّ المسألة هي كيف نفهم الإسلام، وكيف نطبّق هذا الفهم.

حال الأمّة الإسلاميّة

– نرى أمّتنا الإسلاميّة مقطّعة الأوصال، فاقدة الوعي، مشلولة الإرادة وغير آبهة بما ينتظرها، فما السبب، وما الحل؟

–أوّلاً: إنّنا لا نحكم على كلّ الأمّة الإسلاميّة بهذا الحكم، بل إنّ هناك أكثر من ظاهرة مشرقة في الطّلائع المجاهدة الواعية العاملة من أجل صنع القوّة والوصول إلى الوحدة والعمل على تهيئة أسباب النّصر، وإن كان هناك وجودٌ لظاهرة تاريخية سلبية الآن في

واقع الأمّة الإسلامية فيما أصابها من تخلّف، فهو لأسباب سيطرة المستكبرين والكافرين الذين باعوهم أنفسهم على حساب الأمّة كما وعملوا على تمزيقها من خلال العصبيّات المذهبية والطائفية والحزبية، وما إلى ذلك، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال:٥٣)، وقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم:٤١).

أمّا الحلّ، فيكون في أن نوجد نوعاً من التّعبئة والتّوعية المستمرّة، لتحقيق طليعة من الأمّة تعي ذاتها ومسؤوليّاتها والأخطار المحيطة بها ومن حولها، عندئذٍ، يمكن للأمّة الّتي استطاعت أن تصنع حضارةً في الماضي، أن تصنع حضارة المستقبل ﴿وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧)، ولدينا في الأمّة مفكّرون ومجاهدون مخلصون، وكثير من الإيجابيات والسلبيات، فلا يجوز دائماً أن نرجم أنفسنا بما يؤدي إلى وقوعنا في قبضة اليأس الذي يسقط فينا روح الأمل في التّغيير والعمل من أجله.

خصائص تربية البنات

- في الغالب يجد الآباء مشقة في تربية البنات.. ما هي في نظر سماحتكم خصوصيات هذه التربية؟

-إن علينا أن نفهم أن البنت إنسان كما هو الذكر أو الولد إنسان، وإن علينا أن نربّي إنسانيتها بالطريقة التي لا تثقل روحها، ولا تجعلها تشعر بأنها إنسان متهم في سلوكه، بحيث لا بد لها أن تدافع عن سلوكها في أية لحظة من اللحظات وفي أي نظرة أو أي وضع، كما لو كانت مطوّقة بالملاحظات التي تحاصرها.

إن التربية تتركز - في العادة - على أساس أن البنت هي (العار) و(الشرف) وأنها الإنسان الذي يخاف عليه من الذكر، ولا بد لنا أن ندخلها في علبة مغلقة يملك الأب أو الأخ مفتاحها، في الوقت الذي يعتبر العار في الإسلام مسألة فردية، فالبنت عندما تمارس عاراً فهي تعيش عارها وليس للعائلة دخلٌ فيه، وهكذا عندما يمارس الولد ما يستوجب العار فإن العار هو عاره لا عار الأهل.

إن علينا أن نربّي البنت على أنها إنسانة لها إرادتها في الحياة، ولها نهجها الذي خطّه الله في الحياة والذي يتمحور حول التزامها بحدوده في روحها وجسدها وعقلها وحركتها في الحياة، كما أن علينا أن نربي الولد على هذا النهج أيضاً.

الزوجة الناجحة والأم الصالحة

إن علينا أن نربّي الفتاة كيف تكون زوجة ناجحة وأماً صالحة، كما نربي الولد كيف يكون زوجاً ناجحاً وأبا صالحاً، ذلك أن الله سبحانه وتعالى لم يفرّق بين الذكر والأنثى في العمل الصالح كما لم يفرق بينهما في العمل غير الصالح أيضاً، فجعل العقوبة سواء في السارق والسارقة والزاني والزانية، وجعلهم في موقع سواء في تحمل المسؤولية، وتلقي الثواب أو العقاب، وهو ما أكده الله سبحانه وتعالى في حديثه عن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والصادقين والصادقات، وغير ذلك مما عدّده الله في سورة الأحزاب.

فمن خلال هذا الإيحاء نعرف أن الله لم يكلّف المرأة في أخلاقيتها بأكثر مما كلّف الرجل، ولم يحذّر المرأة بأكثر مما حذّر الرجل، فإذا أردنا للتربية أن تنطلق في الخط المستقيم، فلا بد أن تنطلق في الخطوط الشرعية والمفاهيم الإسلامية التي لم تجد فرقاً بين الرجل والمرأة على السواء.

عقدة الاضطهاد

إن التمييز بين البنت والولد يشكل عقدة لدى البنت، بحيث تشعر بالاضطهاد في إنسانيتها من خلال تحمّلها لمسؤولية شرف العائلة بما لا يتحمله الولد، ومن خلال إحاطتها بكل النظرات الشاكة والمتهمة سواء في خروجها من المنج:زل أو في علاقاتها وأوضاعها بما لا يُتهم به الولد.

إن هذه التربية غير صحيحة، فالعفة حدٌ إسلامي للذكر والأنثى على السواء، وإن الشرف حالة فردية في الذكر والأنثى على السواء، وربما كان ضعف الأنثى أمام قوة الرجل، في الجانب الأنثوي في شخصيتها، يطرح علينا مسألة تنمية إرادة الفتاة بالطريقة التي تمكّنها من تأكيد رفضها للانحناء أمام رغبات الآخرين، وبذلك تتمكن من بناء شخصية قوية وأخلاق راسخة، بحيث تصمد أمام الإغراء أو الانحراف.

قدسيّة التربة الحسينية

- ما تعليقكم على بعض الأمور المتعلّقة بخروج الحسين، مثل السجود على التربة الحسينية؟

-إن السجود على التربة الحسينية لا يمثّل أية قداسة لهذه التربة، فالثابت لدى فقهاء أهل البيت(ع)، أنّه لا يجوز السجود إلا على الأرض وما أنبتت مما لا يستعمل بمادته للأكل ولا للّبس، ويقولون إن النبي(ص) يقول: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، فالأرض بطبيعتها هي الأساس في المسجد، وأما السجاد والموكيت أو ما أشبه ذلك، أو حتى الأوراق التي يمكن أن تؤكل مثل ورق العنب، فإنّه لا يجوز السجود عليه، ولكن يجوز لنا أن نسجد على العشب أو نسجد على الخشب، ويجوز لنا أن نسجد على الأوراق التي لا تستعمل للأكل من قبل البشر وما إلى ذلك، ولكن لا نسجد على الصوف ولا القطن... لذلك، فمسألة التربة هي مجرّد تراب يُسجَدُ عليه عندما يفقد الإنسان ما يسجد عليه مما يصحُّ السجود عليه، وليست لها أي قداسة، فبإمكان الإنسان أن يكسر هذه التربة ويرميها في الهواء. ولكن بعض الناس يتبرّكون بالتراب الذي هو من كربلاء، باعتبار استشهاد الإمام الحسين(ع) عليه، ولكن ليس هناك أية خصوصية وأية قداسة لهذا التراب الذي يسجد عليه المسلمون الشيعة، ولا يلتزمونه بالخصوص، بل إننا نستطيع أن نسجد على الورق، أو أيّ شيء آخر يُسجد عليه. لذلك، فإن النظرة التي يحملها كثير من المسلمين عن الشيعة في مسألة سجودهم على هذا التراب هي نظرة خاطئة.

إثارة الخلاف بين المؤمنين

- ما هي نصيحتكم للطلاب الذين يسعون دائماً إلى صنع الخلافات والمشاكل بين طلاب الحوزات العلمية من خلال الخلافات التي جرت أو تجري بين المراجع؟

-إنّ من يسعى في إثارة الخلاف بين المؤمنين هو إنسان بعيد عن خطّ العدالة والتقوى، لأنّ الدين يعني الاستقامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصّلت:٣٠)، وقال تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (الشورى:١٥) فالاستقامة هي أن لا يثير الإنسان الفتنة بين الناس، أما التعدّد في التقليد، فإنه يتبع قناعة كلّ مكلّف، فعلى أيّ أساس نحوّل قضية المرجعية إلى عصبية؟! والنبي(ص) يقول: «العصبيةُ في النار»، وقد ورد في حديث الإمام علي بن الحسين زين العابدين سلام الله عليه: «العصبية التي يأثم عليها صاحبها، أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحبّ الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظُلم»، ولكن هؤلاء الناس الذين يثيرون الفتنة والخلافات لأجل اختلاف المرجعيات، ويحاولون أيضاً أن يتهجموا على مرجع هنا أو مرجع هناك، هؤلاء ليس لهم من التقوى شيء، ونتصحهم بأن يتّقوا الله سبحانه وتعالى في الناس وفي أنفسهم؛ لأنّهم سوف يقفون غداً بين يدي الله، وعندما ينطلق النداء: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ (الصافات:٢٤)، فبماذا سيجيبون الله عن ذلك؟

الإنترنت: ساحة للاستخبارات والحروب الإلكترونيّة

شكلت شبكات التّواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونيّة، بحسب كثير من المراقبين، عاملاً فعّالاً في تشكيل الرّأي العام، الذي فجّر الثّورات العربيّة وحركات الاحتجاج على مستوى العالم، حيث لعبت مواقع التّواصل مثل «فايسبوك» و«تويتر»، دوراً هامّاً في حشد وتنظيم تحركات الناشطين، والحركات الشبابيّة المنادية بالتغيير.

المواقع الإلكترونيّة في خدمة السياسة:

وبالطبع، فإن دور هذا النّوع من الإعلام لم يبدأ مع انطلاق الثّورات العربيّة، ولكن فاعليّته تجلّت خلالها بشكل كبير، من خلال الزخم الذي منحته للناشطين، حيث استخدم الشّباب كل هذه التّقنيات الإلكترونيّة الحديثة في تحركاتهم ونشاطاتهم، وفي الإعداد للمظاهرات والمسيرات.

ولكن، هل تقف الاستخبارات الدوليّة وخصوصاً الامريكية، موقف المتفرج أمام هذا الواقع، وما حقيقة تدخلها للاستفادة منه، في خدمة مصالحها ومشاريعها للسيطرة على المنطقة، و«احتلال» عقول شبابها؟؟

تؤكد مصادر صحفيّة أمريكيّة، أنّ وكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة «سي. آي. أي»، تتابع ما يصل إلى خمسة ملايين رسالة عبر موقع «تويتر» يومياً، لرصد كلّ ما ينشر فيها من معلومات. ففي مركز «المصادر المفتوحة» التّابع للوكالة، يقوم فريق يعرف بـ«أمناء المكتبات الانتقاميين»، ممن يحملون درجة الماجستير في علم المكتبات، ويتحدّثون لغات متعدّدة، برصد ما ينشر في موقع «فايسبوك» الاجتماعي، وفي غرف الدّردشة على الإنترنت، بهدف الاطّلاع على نبض الرأي العام العالمي تارة، وتعطيل المشاريع التقنيّة والعلميّة المناوئة للغرب تارةً أخرى، واستغلال أوضاع معيّنة في بلد ما لإثارة الخلافات المذهبيّة والفتن عبر المواقع والشّبكات الّتي يخترقها.. وهو أيضاً ما تقوم به «إسرائيل»، حيث كشفت وكالة «رويترز»، أنّ الجاسوس الإسرائيليّ «إيلان تشايم جرابيل»، الّذي ألقي القبض عليه في مصر، كان يروّج على شبكة الإنترنت للسياسات الإسرائيليّة في العالم العربي، وأنّ الصّور التي نشرت له في مصر، تتطابق مع صوره في صفحة «مشروع إسرائيل» على موقع «فايسبوك».

هكذا تحوّلت هذه المواقع إلى ساحة مفتوحة تتحرك فيها أجهزة الاستخبارات، في محاولة منها لقياس نبض الشارع العربي والإسلامي، ومحاولة التأثير فيه بما يخدم سياساتها، حيث يقوم فريق من المحلّلين في «سي. آي. أي» بجمع المعلومات من الرّسائل الموجودة في «تويتر» إلى المدوّنة الخاصّة بهم، باللّغات التي تكتب بها، سواء اللّغة العربيّة أو الصّينيّة أو غيرها، ثم يقومون بالتّحقّق من المعلومات الّتي يعثرون عليها، من خلال مقارنتها بما يرد بشأنها في الصّحف المحليّة أو في المكالمات الهاتفيّة الّتي يتم التّنصّت عليها.

ومقارنةً بما كانت عليه قبل الثّورات العربيّة، فالوكالة تشهد اليوم نمواً كبيراً في حجم عملائها، حيث وصل عددهم إلى ما يقارب الخمسة وعشرين ألف موظّف، ينتشر عدد منهم في السّفارات الأميركيّة في العالم، بينما يتمركز غالبيّتهم في ولاية فرجينيا الأميركيّة.

رصد الرأي العام العالمي:

يشار إلى أنّ الوكالة بذلت جهداً خاصّاً لتجنيد ناطقين بالعربيّة ومسلمين، عن طريق نشر إعلانات مطبوعة، والاستعانة بخطباء وبرامج أخرى للتّقليل من المخاوف بشأن دورها في بعض الحوادث الأكثر إثارة للجدل، والمتعلّقة بالحرب على «تنظيم القاعدة»، على حدّ تعبير صحيفة «لوس أنجلوس تايمز» الأميركيّة.

وعلى هذا الأساس، فهم يرسمون صورةً أوضح لقضيّة معيّنة تقدّم إلى أعلى المستويات في البيت الأبيض، ما يخوّل المسؤولين إلقاء نظرة خاطفة على تلك القضيّة خلال تطوّرها، ومن ذلك على سبيل المثال، التّنبؤ بالبلد العربيّ المرجّح احتمال وقوع ثورة فيه أكثر من غيره.

فحول الأحداث في مصر، أشار مدير مركز الوكالة دوغ ناكين، في مقابلة له مع وكالة «أسوشيتد برس»، إلى أنّ المسؤولين الأميركيّين توقّعوا احتمال أن تغيّر الشبكات الاجتماعيّة قواعد اللّعبة وتهدّد النظام، وأن تؤدّي إلى ثورة، ولكنّهم لم يعرفوا بالتحديد الوقت الّذي ستحصل فيه..

ومن ذلك أيضاً، السّعي لتكوين فكرة سريعة حول مزاج المنطقة بعد الغارة الّتي قتلت فيها القوات الأميركيّة الخاصة زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، في باكستان في شهر أيار/مايو. وقد تابعت وكالة الإستخبارات المركزيّة رسائل «تويتر» لإعطاء البيت الأبيض فكرةً سريعةً عن الرّأي العام العالمي، حيث تبيّن أنّ غالبيّة الرّسائل بالأوردو والصينيّة كانت سلبيّة، وأنّ الباكستانيّين اعترضوا على الغارة، واعتبروها إهانةً لسيادة بلادهم.

وعندما ألقى الرئيس الامريكي أوباما كلمته بشأن قضايا الشرق الأوسط بعد أسابيع قليلة من تلك الغارة، كانت رسائل «تويتر» على مدى الـ٢٤ ساعة التّالية، سلبيّةً على نطاق واسع في كلّ من تركيا ومصر واليمن والجزائر والخليج العربي، حيث اتهم المتحدّثون بالعربية والتركيّة أوباما بالانحياز إلى إسرائيل، بينما اتهمه الإسرائيليّون، في رسائلهم بالعبريّة، بالانحياز إلى العرب.

الحرب الإلكترونيّة:

يذكر أنّ هذه المنشأة التّابعة لوكالة المخابرات المركزيّة الأميركيّة، استحدثت في وقت لاحق استجابةً لتوصية من لجنة التّحقيق في أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، حيث أُسنِدت إليها في المقام الأول، مهمتا التركيز على مكافحة الإرهاب ومكافحة انتشار الأسلحة، إلى جانب متابعة قضايا أخرى.. ومنها التّركيز على وسائل الإعلام الاجتماعيّة، بعد التنبّه للدور الّذي لعبه موقع «تويتر» أثناء الأحداث التي شهدتها إيران عام ٢٠٠٩، عندما احتجت مجموعات شبابيّة على نتائج الانتخابات التي أعادت الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد من جديد إلى السّلطة، حيث تحدّث المراقبون عن استغلال الغرب لوسائل التواصل، وخصوصاً «التويتر» لزعزعة الأمن، وتأجيج التحركات المناهضة للنظام الإسلامي.

وفي سياق استخدام الشّبكة العنكبوتيّة لخدمة الأهداف والمشاريع الأمريكيّة والصّهيونيّة، يجهد الصهاينة في تنظيم «حرب إلكترونيّة» على إيران، تسبق مخطّطاتهم العدوانيّة الحربيّة عليها، والتي أفصح عنها مسؤولوه، من خلال حديثهم عن ضربة عسكريّة محتملة ضدّ منشآت الجمهوريّة الإسلاميّة النوويّة.

وأشار الباحثون إلى أنّ فيروس «ستكسنت»، الّذي يملك القدرة على استهداف أنظمة التّحكم الصناعيّة، والّذي يعتبر من أخطر برمجيات الكمبيوتر الخبيثة الّتي تم اكتشافها وتطويرها، سبق أن هاجم مفاعل «نتانز» الإيراني، وأنظمة التحكّم الصناعيّة المستخدمة فيه، وهو ما يؤكّد حقيقة «الحرب الإلكترونية» التي تستهدف المنشآت النووية الإيرانية.

كما يمكن للفيروس، بحسب رئيس دائرة أمن الإنترنت في وزارة الأمن الوطني الأمريكية، شون ماكفيرك، «أن يدخل تلقائياً إلى أيّ نظام، ويسرق صيغة المنتج الذي يتم صنعه، ويغيّر خلط المكونات في المنتج، ويخدع المشغّلين وبرامج مكافحة الفيروسات، عبر إيهامهم بأنّ كل شيء على ما يرام»، ما يشكّل تهديداً خطيراً لأمن البنى التحتيّة الحيويّة في جميع أنحاء العالم.

قراءة في كتاب

عاشوراء: قراءة في المفاهيم وأساليب الإحياء

يشكل كتاب «عاشوراء: قراءة في المفاهيم وأساليب الإحياء» الذي صدر عن مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر ونشرته دار الملاك بيروت، محاولة لرصد التزوير والتشويه، الذي تعرضت له الثورة الحسينيّة، ويجمع مقالات كتبها سماحة الشيخ حسين الخشن صفحات جريدة «بينات»، وفي مناسبات مختلفة، بهدف إبقاء صورة عاشوراء نقيّة نقاء الطهر الذي جسّده أبطالها.

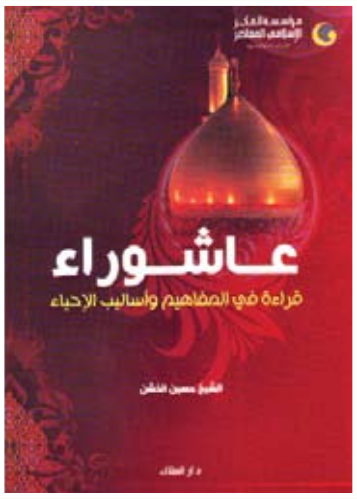

وجاء الكتاب موزّعاً على فصلين أساسيين، يتناول الفصل الأول منهما جملة من المفاهيم المزوّرة التي ساهمت الثورة الحسينية في تصحيحها، وأما الفصل الثاني فقد خصّص للحديث عن الإحياءات العاشورائيّة في أهدافها وأساليبها.

مفاهيم صححتها الثورة:

ويتناول الفصل الأول من الكتاب دور الثورة الحسينية في تصحيح الكثير من المفاهيم التي تم تشويهها وبثها في أوساط الأمة، لتُقدّم على أنها تعاليم إسلامية، في حين أنها لا تمت إلى الإسلام بصلة، ومن هنا كان أحد أهم وجوه الإصلاح في ثورة الإمام الحسين(ع) هو الإصلاح الديني والفكري، لأن أسوا ما ابتليت به الأمة ليس مجرد الانحراف السلوكي، إنما الانحراف الفكري وتزوير المفاهيم الدينية في محاولة لإخضاع الأمة وترويضها.

ويتناول الكتاب الانقلاب الكبير في المفاهيم والأفكار والعقائد، الأمر الذي أساء إلى صفاء الإسلام في عقيدته وشريعته ومفاهيمه، وقد واجه الإمام (ع) هذا الانحراف المفاهيمي، الذي غذته السلطات الظالمة خدمة لمصالحها وأهدافها.

ويأتي على رأس هذه المفاهيم مفهوم الاعتزال الذي تستر به الكثيرون هربا من نصرة الحق وبذل النفس والمال في مواجهة الباطل، وكذلك مفهوم «القضاء والقدر» الذي استغلته السلطات الظالمة لتبرير تسلطها على رقاب الناس و تحييد الجماهير عن ساحة الصراع، وحتى تفرض على الأمة تحت ستار ديني، إطاعة السلطان الجائر، في حين أن مدرسة أهل البيت تعتبر أن مسوغ بقاء السلطان هي عدالته التي يفقد من دونها شرعية الحكم.

كما واجهت النهضة الحسينية عقيدة الإرجاء التي اعتبرت أن الإيمان هو فعل القلب واللسان، ولا علاقة له بالعمل، حيث تبرر هذه العقيدة للحاكم استئثاره وظلمه. ويتناول الكاتب أيضاً «الوجه الشيعي» للإرجاء، الذي يجعل العلاقة بأهل البيت(ع) مقتصرة على الجانب العاطفي فقط، دون حاجة للإيمان العملي من خلال ما يورد من بعض الأحاديث، لكن الواقع أن المحبة أن لم تقترن بالواقع العملي فإنها لا تكون حقيقية أو ذات قيمة.

وقد استطاعت النهضة الحسينية أن تخترق كل حجب الجهل والتخلف، وأسهمت في التعريف بحقائق الإسلام وتوضيح مفاهيمه التي استغلها الطغاة وزيفوها، مما ترك أثرا كبيرا في أبناء الأمة على امتداد الأزمنة.

الاحياءات العاشورائية:

ويتناول الفصل الثاني من الكتاب الاحياءات العاشورائية على مستوى الوظيفة والأهداف والأساليب، لأن معيار نجاح الإحياء هو في مدى تمكننا من استلهام قيم الثورة الحسينية من خلاله، دون تشويه الذكرى.

ويعتبر المؤلف أن معيار المشروعية في الإحياء يتطلب عدم وجود ما يدل على الحرمة بالعنوان الأولي أو الثانوي، إذ لا يكفي في اعتماد وسيلة معينة كسنة متبعة في الإحياء، مجرد حسن النية لدى الآخذين بها، بل يجب أن لا تكون منافية للقواعد الشرعية كما هو الحال في موضوع «التطبير» الذي يؤدي إلى الإضرار بالنفس وتوهين المذهب وهتكه، لذا يعتبر محرما شرعا بغض النظر عن نية فاعله.

كما يتناول بتفصيل دور العاطفة في القضية الحسينية، حيث يعتبر انه يمثل تخطيطا واعياً ومدروساً من الأئمة(ع) لإدخال القضية في قلب الأمة، لتكون المدخل إلى عقلها بما يساهم في حصول عملية التغيير.

ويتطرق المؤلف إلى عدد من وسائل الإحياء المعتمدة ليدرس مشروعيتها، ويستنتج بالتالي أن بعض هذه العادات محرم و غير جائز مثل ضرب الهامات بالسيف، الذي يعتبر عادة دخيلة، كما يتناول ما أثارته هذه القضية تاريخياً من خلال موقف المصلح الكبير السيد محسن الأمين في «رسالة التنزيه» التي واجهت «المنكرات والبدع» الدخيلة مثل التطبير وغيره، وما أثارته من ردود فعل مختلفة قديما وحديثاً، ويتطرق إلى آراء العلماء المعاصرين في هذا المجال ، ومن أبرزهم المرجع فضل الله الذي تصدى بجرأة لهذه الظاهرة.

ويتناول المؤلف في القسم الأخير من كتابه خطورة تسرب الخرافة إلى ثقافتنا التي تبث ليل نهار عبر المحطات التلفزيونية المتخلفة، ومساهمة الغلو في تسطيح الخطاب العاشورائي مما يؤدي إلى التساهل في العرض التاريخي، بالإضافة إلى نزعة تقديس التراث التي غالبا ما تكون الحقيقة ضحيتها الأولى من خلال بعض الأساطير التي تدخل إلى السيرة الحسينية. ويدعو الكاتب في الختام إلى تمزيق هذه الهالة المزيفة ونزعها أمام حركة البحث التاريخي، مشيرا إلى خطورة الخلط بين التاريخي والعقدي، داعياً إلى فك الاشتباك الحاصل في هذا المجال.

صدر حديثا:

المنبر الحسيني...
أفكار ورؤى الفقيه المجدّد السيد فضل الله
تأليف: الشيخ علي حسن غلوم
إصدار المركز الإسلامي الثقافي
اطلبه من مجمع الإمامين الحسنين (ع) ـ حارة حريك

كيف تستثمر وقتك؟

ساعات كثيرة تمضي ولا ندرك لا كيف مضت، ولا أين مضت، لكننا ندرك أنها مضت ولن تعود، وأحسن سبيل للنجاح هو إستثمار الوقت، وأحسن إستثمار للوقت هو تنظيمه، فالتنظيم أساس النجاح، والتنظيم يسهّل الأمور، يبسّطها ويساعدنا على إتقان العمل والنجاح فيه. والنجاح في العمل يعني النجاح في الحياة، وتنظيم الوقت يقتضي ترتيب الأولويات، وترتيب الأوليات يستدعي النظرة الشمولية ثمّ التصنيف والتمييز.

إنّ أوّل ما سنُسأل عنه عند لقاء الله تعالى هو الوقت، حيث قال الرسول (ص) في حديثه الشريف: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به».

وحرصاً على حسن الإستفادة من الوقت وإستغلاله نعرض مجموعة قواعد هامة في إستثمار الوقت:

- استعمل عقلك في الوجه الأصح.
- حاسب نفسك على صرف الأوقات! لماذا وكيف صرفتها؟
- اجعل يومك أفضل من أمسك وأكثر عملاً وثمراً.
- بادر الفرص واغتنمها، وهناك نوعان من الفرص، فرص تبرز جاهزة أمام الإنسان وفرص يقوم هو بصنعها وإيجادها.
- الجدية في الحياة، وهذا لا يتعارض مع روح الفكاهة والنكتة.
- الصبر على العمل ومتابعة التجارب.
- احفظ تجاربك وتجارب الآخرين.
- اقتصد في وقتك.
- أكمل ما تشرع فيه.
- تابع تطوير إنتاجك.
- اجعل الفشل على طريق النجاح.
- استثمر أوقاتك حتى في أسوأ الظروف.
- اعتمد على نفسك.
- دع الآخرين يشاركونك العمل.
- ثابر وجد واجتهد.
- فعّل همتك ولا تكسل.
- السرعة والاتقان في العمل.
- احترم وعودك.
- انظر إلى المستقبل مع اعتبار الماضي

واستثمار الحاضر.

- اعتمد التنافس الشريف.

وتجدر الإشارة إلى أن تبني هذه القواعد الأساسية في إستثمار الوقت يعتبر فريضة غائبة، فمنهم مَن يقول إن حسن إستثمار الوقت عبادة، عملياً لا يوجد دين يقدر قيمة الوقت مثل الإسلام حيث أعطى القرآن الكريم أهمية بالغة للزمن فارتبطت معظم العبادات في التشريع الإسلامي بمواعيد زمنية محددة وثابتة كالصلاة والصيام والحج. ويحاسب المرء إن لم يحسب للوقت حساباً.

والأهل الذين يحسنون إستثمار أوقاتهم ويحسنون بالتالي ملء أوقات فراغهم بأعمال مفيدة تعود عليهم بالنفع يعكسون وضعهم السليم على تصرف أبنائهم وممارساتهم وكيفية تمضية أوقات فراغهم بنشاطات قيمة تكسبهم مهارات فكرية ونفسية وإجتماعية وجسدية ويدوية ذات مستوى ومنفعة راقيين.

إستثمار الصحة:

أما إستثمار الصحة، فهو يحتل العديد من الإتجاهات والتوجهات، فهناك مَن يستثمر الصحة يعني ينشئ مستشفى أو مستوصف أو مركز طبي يستقبل فيه الزبائن والمرضى لتطبيبهم وإرشادهم نحو طريق الشفاء بغية تحقيق ربحية كبيرة. وهناك مَن يستثمر الصحة أي يوظف صحته للقيام بأعمال مكثفة يستنفد معها طاقاته وإمكاناته الجسدية من أجل تحقيق العديد من الأهداف المادية أو المعنوية على حد سواء، وهناك مَن يستثمر الصحة أي يحافظ عليها ويقيها من كل عارض أو شائبة أو مرض، فيعتمد البرامج الغذائية المدروسة ويمارس النشاطات الرياضية الصحية السليمة ويتبنى الأساليب الصحية الرعائية السليمة التي من شأنها أن تبقي صاحبها بصحة جيّدة وبعيداً عن الأمراض وما يتبعها من تعقيدات أو مضاعفات، نمط معيشي سليم. غذاء صحي، معرفة وقائية وتدخّل طبي عند الحاجة، أربعة إتجاهات لمروحة واحدة تشكل المعادلة المعروفة، عقل سليم يؤدي إلى جسم سليم. وهذا ما نتمناه لكل فرد ولكل أسرة وليكن الأهل قدوة للأبناء حتى يحذو الأبناء حذو الآباء في الحكمة والإعتدال في مختلف التصرفات.

أحمد حمود

ليست الحياة فرصةً للاسترخاء...

ظاهرة اجتماعيّة لم تعد تخفى على أحد، فهي بارزة للعيان، ونحيا تأثيراتها في حياتنا الفرديّة والجماعيّة، فكثيرٌ من الشّباب يعيش اليوم على زوايا الطّرقات أكثر مما يعيش ويستقرّ مع أسرته، فيجتمع الكثيرون على تدخين النّارجيلة واستهلاك الوقت بأشياء لا طائل منها، سوى أنّها تتحوّل شيئاً فشيئاً إلى عادة نفسيّة واجتماعيّة باتت تهدّد أخلاقيّات المجتمع المفترض أنّه ينتمي إلى ثقافة الإسلام، والّتي تدعو إلى استثمار الوقت بالشّكل الصّحيح، والّذي يعود بالفائدة على الفرد والمجتمع، لأنّ الوقت هو سجلّ الفرد والأمّة، وهو أغلى ما يملكه الإنسان في مسيرة وجوده، فبه يحقّق ذاته، ويسعى في سيره الحضاريّ من أجل بناء المستقبل وإعمار الأرض..

والإسلام يذمّ من يهدر الوقت، ويدعو الجميع إلى استثماره لتعميم الفائدة، لذلك فمن الأجدر على كلّ هيئات المجتمع، من دعاة وتربويّين ومثقّفين ومهتمّين بالشّأن الاجتماعيّ، أن يبادروا إلى العمل على وضع البرامج والأنشطة الهادفة والواعية، للملمة الشّمل، ونشر الوعي كلٌّ من موقعه، وكما قال رسول

الله(ص): «كلّكُم راع وكلّكم مسؤول عن رعيّته». فهل هناكَ أهمّ من هذه المسؤوليّة؟ وهل هناك أهمّ من استثمار الوقت؟!...

وما تقدّم لا يعني أنّ الإسلام يلغي حريّة الفرد في الاستمتاع ببعض أوقات الرّاحة، بل يدعو إلى حُسن الاستفادة من هذه الأوقات، بالموازنة بين ما هو وقت للعمل، وما تحتاجه النّفس من ترويح بين وقت وآخر، فهذه الموازنة مطلوبة، وتسهم في تنمية الشخصيّة من النّواحي الجسميّة والنفسيّة والعقليّة والجماليّة، أمّا عدم استثمار الوقت بالشّكل الصّحيح، فيوقع في المحذور، ويؤدّي إلى مشكلات بعضها نفسيّة، ومنها: القلق والتوتّر والكآبة، وهذا ما يدفع نحو ما لا تُحمد عقباه من نتائج..

فمرحلة الشّباب من أشدّ المراحل حساسيةً في حياة الإنسان، لأنّها المرحلة التي يُبنى عليها المستقبل وعمليّة الإنتاج بكلّ تنوّعاتها، فهذه المرحلة ليست ملكاً للشّباب؛ إنّها بالمعنى الأعمّ ملك للحياة عامّة، فلا يجب أن نعمل على حرمان المجتمع والحياة من أغلى طاقتها...

ويشير سماحة المرجع السيّد محمد حسين فضل الله(رض) إلى هذا المعنى في تفسيره للآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾(الانشقاق: ٦) (من وحي القرآن، ج٢٤، ص:١٥١)، فيقول:

«ليست الحياة فرصةً للاسترخاء والنّوم والرّاحة اللاهية المطلقة، وليست مجالاً للعبث واللّعب واللّهو، بل هي فرصتك للكدح الّذي يمثّل الجهد العمليّ الّذي يترك تأثيره في كيانك الجسديّ والرّوحيّ والشّعوريّ، لأنّ هناك دوراً كبيراً لا بدّ من أن تقوم به في خلافتك عن الله في إدارة شؤون الحياة في الأرض على خطّ رسالاته، فلا بد لك من أن تكدح في فكرك لتنتج الفكر الّذي يخطّط للحركة ويدفع نحو التطوّر...

إنّ الحياة هي المعمل الكبير الّذي أراد الله له أن ينتج الخير في حركة الحقّ في ساحة الصّراع، وجعل الإنسان كادحاً حيّاً أساسياً في تحريك أجهزته وفي توجيه إنتاجه، فلا مجال للتفكير في الراحة، بل هو الجهد الدّائب الذي إذا التقى بالنّوم، فلكي يمنحه النّوم حيويّةً جديدة، وإذا عاش مع بعض لحظات الرّاحة والاسترخاء واللّهو، فمن أجل أن يخفّف عنه ثقل التّعب، وضغط الضّعف، واختناق الرّوح، ما يجعل لهذه الأمور معنى يتّصل بشروط الكدح، لا معنى يتخفّف الإنسان به منه..».

ولا بدّ من الإشارة، أخيراً، إلى أنّه كثيراً ما كان سماحة المرجع السيّد فضل الله(ره) يردّد العبارة المشهور: «الرّاحة عليّ حرام..»، كإشارة إلى أهميّة الوقت وضرورة الاستفادة منه لإغناء الواقع والحياة...

م.ف

الجنّ والسّحر:

خرافات وأوهام تتغذى على الجهل

لا يزال الكثيرون في عالمنا العربي والإسلامي يؤمنون بجدوى الاحتكام إلى الجنّ لحلّ ما يعانون منه من مشاكل نفسيّة واجتماعيّة، ففي سفح جبل «توبقال الشهير» في المغرب، تلتقي بأفواج من الرّجال والنساء والشباب صاعدين إلى قمّة الجبل، أو عائدين إلى ديارهم، حيث مقام «سيدي شمهروش»، رئيس أكبر محكمة للجنّ، كما يعتقد بعض النّاس في «المغرب»، فهو ملك ملوك الجنّ، بحسب الموروث الشعبيّ المغربيّ، وهو الّذي يفصل في القضايا العالقة بين الإنس والجنّ، فكما هناك محكمة للإنس، هناك ـ في نظر البعض ـ محكمة للجن، ويضفي القائمون على «مقام شمهروش» قدسيةً كبيرةً عليه، بحيث يمنع على غير المسلمين الاقتراب من المكان.

طقوس مستهجنة:

وبالقرب من المقام مذبح فيه آثار للدّماء، حيث تذبح القرابين الّتي يأتي بها الزّائرون للملك «شمهروش»، ليفصل بينهم وبين الجني الذي يسكنهم، وحول المقام، تحلّقت مغارات صغيرة اتخذت لون السواد بسبب دخان الشموع التي توقد فيها من قِبَل روّاد المكان، ويسود الاعتقاد أنّ إنارة الشموع هناك الّتي هي طقس من طقوس الزّيارة، ينعكس إيجاباً على حياة الفرد وينيرها.

إنّ من المستهجن أنّنا لا نزال نعيش في عصرنا هذا مثل هذه الأوهام والخرافات الّتي تتغذّى على الجهل. ويبقى السّؤال: هل في زماننا المعاصر سبيل للقضاء عليها؟! وخصوصاً أنّها أصبحت عند البعض من الأمور الرّاسخة والمسلّمات الّتي لا يجوز بحالٍ من الأحوال التشكيك في صدقيتها، خوفاً من أن يجرّ عليهم اللّعنات والنّكسات.

هذه المعتقدات هي من الأمور المرتبطة بالفهم الخاطئ للدّين، فالبعض يبرّر للأمر بالاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، بحجّة أنّ الله ذكّر عالم الجنّ في القرآن، فما دام الجنّ مذكورين في القرآن، فإنّ علينا أن نصدّق كلّ ما يدّعى حولهم، وما يُحاك عن عالَمهم. أمّا على المستوى الاقتصاديّ، فلا ريب أنّ هناك مردوداً ماديّاً وفيراً يعود على أصحاب هذه الخزعبلات، جرّاء قيامهم بمزاولة المهن المتعلّقة بالسّحر والجنّ والكتب والرّقى وغيرها...

الموقف الإسلامي:

في هذا الإطار، يرى سماحة المرجع المجدّد السيّد محمد حسين فضل الله(رض)، أنّ مفهوم الجنّ كحقيقة وجوديّة أكّدها القرآن في أكثر من سورة، فقد تحدّث عن الجنّ كمخلوقات حيّة عاقلة مسؤولة، تماماً كما تحدّث عن الإنس، وخاطبهما معاً، وجعلهما مسؤولين عن عبادة الله الواحد... هذه الصّورة الّتي نؤمن بها على أساس الحقيقة القرآنيّة الّتي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، كما في الكثير من حقائق الغيب الّتي لم تقع تحت إدراك حواسّنا الظّاهرة، فلا نزيد عليها وعلى ما جاءت به السنّة الصّحيحة من النبيّ(ص)..

> **الكثير من الجاهلين يعملون على استغلال جهل النّاس للإيحاء إليهم بالجوّ الخفيّ للجنّ**

أمّا العقائد الشعبيّة الّتي تتحدّث عن الجنّ بما يشبه الخرافة، وترى أنّ لهم تأثيراً في الحياة العمليّة للنّاس في ما قد يحدث للنّاس من حالات غير طبيعية، أو في تسخيرهم.. فلم يثبت لنا ذلك بطريق صحيح.. ولذا، فإنّنا لا نستطيع أن نجدّ فيه أيّ أساس للحقيقة، ونحذّر المؤمنين من أن يخضعوا لمثل هذه الأحاديث الّتي قد يحرّكها الكثيرون من الجاهلين أو من الّذين يعملون على استغلال جهل النّاس للإيحاء إليهم بالجوّ الخفيّ للجنّ، بادّعاء علاقتهم بأمراضهم وأحلامهم وآلامهم وقضاياهم الحياتيّة المتنوّعة... (من وحي القرآن، ج٢٣، ص:١٤٣).

وفي مكانٍ آخر يقول سماحته: وأمّا في موضوع السّحر، فلا يبعد أن نستوحي من القرآن الكريم في آياته المتفرّقة، ولا سيّما في ما جاء من حديث موسى(ع) مع السّحرة، أنّ السّحر عملية تخييل ولعب على الأعين والحواسّ الأخرى، وأنّه لا يرتكز على أساس من الحقّ، وقد وردت الأحاديث الكثيرة في التّنديد بالسّاحر والسّحر، والتّشديد على عقوبة السّاحر في الدّنيا والآخرة، ولعلّ الوجه في ذلك، هو طبيعة الخطورة الّتي يمثّلها السّحر في ربط النّاس بالخرافة والتّضليل والتّمويه، والابتعاد عن طبيعة الأشياء تحت ستار الأسرار الغامضة المقدّسة، أو الاعتقاد ببعض المؤثّرات في خصائص الأشياء بالمستوى الّذي يتنافى مع وحدانيّة الله وعظمته..

> **إذا كنّا فعلاً أمّة القرآن، فإنّ علينا اتّباع مفاهيمه الأصيلة، بعيداً عن الاستغراق في الأوهام والخرافات**

وإنّنا لا ننطلق في تحفّظنا في موضوع اعتبار السحر شيئاً حقيقيّاً، من فكرة استبعاد علاقة الأشياء غير الملموسة أو غير الماديّة بالتأثير في الواقع، لأنّنا لا نؤمن إلا بالجانب الحسّيّ في قضايا الحياة الواقعيّة، بل لأنّنا لا نملك أدلّة وجدانيّة أو شرعيّة ـ في ما نعرفه من أدلّة ـ على ذلك، فتبقى القضيّة في طور الاحتمال الّذي يحتاج في جميع تفاصيله إلى دليل... (من وحي القرآن، ج٢، ص:١٤٥).

أمّة العلم:

إنّ أمّة القرآن والإسلام هي أمّة العلم والتفكّر والوعي، وإذا كنّا فعلاً أمّة القرآن، فإنّ علينا اتّباع مفاهيمه الحقيقيّة والأصيلة في طرحها للأفكار ومعالجتها لها بأسلوب علميّ وموضوعيّ، بعيداً عن الاستغراق في الأوهام والتصوّرات الخاطئة، والّتي تتراكم مع الزّمن لتصبح من المسلّمات التي لا ينبغي الحديث عنها، ما يفتح المجال واسعاً أمام الجاهلين والتجّار لاستغلال هذه الأوهام المصطنعة لغايات ماديّة وشخصيّة، عملٍ الإسلام على محاربتها بكلّ قوّة، صوناً لكرامة الإنسان وعقله كموجودٍ مكرّم...

محمد فضل الله

صدر حديثاً:

كتاب:

«هل الجنّة للمسلمين وحدهم؟» قراءة في مفهوم الخلاص الآخروي

تأليف: الشيخ حسين الخشن

إصدار المركز الإسلامي الثقافي

اطلبه من مجمع الإمامين الحسنين - حارة حريك

السيِّد الإنسان

إنّ ما يمثّله سماحة العلامة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله(ره) على الصّعيد الدّيني والشّرعي والفقهي، وما تركه من إرث ديني وثقافي وشرعي، يجعل منه حالة فريدة على صعيد ما ذكرت. فعلى الصّعيد الإنساني، عاش إنسانيّة الإنسان، دون تمييز بين أيّ من مخلوقاته، وجاءت فتواه عن طهارة الإنسان الجسديّة، أياً يكن هذا الإنسان، فالنّجاسة عند بعض البشر هي نجاسة العقل المنغلق على الذّات والآخر، لتدلّ على مستوى انفتاح هذا المرجع على الإنسان، كلّ الإنسان ..

أما بالنّسبة إلى المرأة، فقد كان لها عند السيّد فضل الله مكانة خاصّة، منطلقة مما أوصى به الإسلام الّذي أعطاها حقوقاً ضاعت في زواريب المجتمع الذّكوري، وما يسمى بالمجتمع الشّرقي بالاسم فقط، ضارباً بعرض الحائط كلّ ما كان يسمى عادات وتقاليد. وما برنامج العنف الأسري الّذي يعمل عليه مكتب سماحته، إلا نموذجاً لما كان قد حضّر له سماحة السيّد(ره)، فقد أعطى المرأة الإنسانة كلّ ما تستحقّه، حتّى الدّفاع عن النّفس في حال الاعتداء من قبل الزوج، ما أثار ردود فعل من قبل المجتمع الذّكوري، ولا عجب في ذلك في مجتمعنا الشّرقي.. ولكن بعد دراسة الفتوى ومضمونها، تغيّرت نظرة المجتمع الذّكوري إليها.. إضافةً إلى كثيرٍ من الفتاوى الّتي أثارت جدلاً، ثمّ اتّضح لاحقاً أنّها منطلقة من استعمال العقل؛ هذه الأداة الّتي أراد الله تعالى لنا أن نستعملها بطريقةٍ صحيحةٍ سليمةٍ، فنسلم في دنيانا وآخرتنا، وقد كان سماحته يقول دائماً، إنّ استعمال العقول لما فيه خدمة النّاس والمجتمع، واجب شرعي.

فتاواه قلّ ما نرى لجرأتها مثيل، ولكنّ هذه الجرأة منطلقة من قواعد إسلاميّة وشرعيّة سليمة، تتماشى مع متطلّبات الزمن، دون المساس بأسس الشّرع والدّين الحنيف..

رحل السيّد؛ ولكنّ طيفه باقٍ في قلوب محبّيه وحتّى معارضيه.. رحل وما زال صدى صوته العذب يتردّد في آذان كلّ المؤمنين، وحتّى غير المؤمنين، لأنّ رسالته كانت رسالة الإيمان والإنسان؛ كلّ الإنسان.

رحل ولم ينقطع عن هذه الحياة الدّنيا، فهو بنى بعون الله تعالى صروح علم، وخلّف ذريّةً صالحةً وكمّاً هائلاً من الصّدقات الجارية عبر المؤسّسات الخيريّة الّتي تعنى بالجميع..

باسل قاسم ريحان

نصير المظلومين

لا تزال الشّعوب المظلومة في العالم، وفي الأمّة الإسلاميّة بشكلٍ خاص حزينة لفقدان العلامة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله(ره).

إنّ العلامة المرجع السيّد فضل الله لا يمكن أن يُنسى، ورحيله يمثّل ثلمة في الأمة لا يسدها شيء.

نشكر الله الّذي رزقنا التّعاصر معه والاستماع إلى توصياته وإرشاداته القيّمة، كما نفتخر بكوننا من المستفيدين من جهوده ودفاعه عن المظلومين والمحرومين.

نحن نعتقد أنّ المرجع الراحل(ره) ما زال - بعد رحيله - مصدر قلق للظالمين والمحتلين الصّهاينة، وخصوصاً أمريكا الّتي كان يسميها «محور الشر».

نسأل الله ان يجعلنا من السّائرين على هديه.

صالح زاريا - كانو/نيجيريا

سنبقى في خط الإسلام..

السّلام على الرّوح الملكوتيّة لأبينا الرّوحي، سماحة المقدّس المرجع الإسلامي الكبير السيّد محمّد حسين فضل الله، أعلى الله درجاته.

كنت أتمنّى أن يرحل لأنّ الأرض لم تكن تستحقّ أن يبقى فيها، ونُصُول الأحقاد قد مزّقت قلبه وكبده رغم صعوبة الفراق وفداحة المصاب، ولكي يولد من جديد، كان لا بدّ من أن تفارق الرّوح الجسد، لتخرج من سجن الأرض المحدود إلى عالم السّماء اللامحدود..

نعم شعور غريب، ولكنّه حقيقيّ، لأنّ فصول المدرسة لن تكتمل إلا بالرّحيل.

عشنا معك الجراح، تألمنا لألمك، وحزنا لحزنك، وكنا معك في خندقك، ولم نكن لنتركك وحدك، وأنى لمرء أن يترك روحه وكنا نتقوى بك، ولقد تكسّرت النّصال على النّصال، والقلوب مطمئنّة إلى أن جاء وقت الرحيل، فأحسسنا بأنّك لم تربنا لنفسك ولكن لله، ولا بدّ من أن نكمل المسيرة، ولكن من جبهة أخرى، فللعدو جبهات كثر، وكما علّمتنا يجب أن نكون الواعين، فإذا انكشفت جبهة، فيجب أن نفتح ألف جبهة معه، والراية تبقى مرفوعة: سيبقى تيار الإسلام الواعي هو خطنا، وتبقى الأب والمعلم والملهم والقدوة.

محمّد إبراهيم/البحرين

كونوا القدوة

السّلام على السيّد الجليل والعالم العامل، السّلام على الصّديق والأب والحبيب القريب، السلام على من يشتاق إليه أتباعه ومريديه، السّلام على من لم يغب عن خاطر محبيه، السّلام عليك يا فضل الله ورحمة الله وبركاته.

نرجو أن لا تخلو الأمّة الإسلاميّة من أمثال العلامة المرجع السيّد فضل الله(ره)، حتى لا نستوحش من بعده، وهو الّذي ترك لنا كنزاً كبيراً، وبحراً غزيراً من المعارف والعلوم.

إنّه بحق مفجر للطّاقات الكامنة لدى الشّباب، أذكر أنّني التقيت سماحة السيّد أوّل مرة قبل أربع سنوات عندما كنا نؤدّي مناسك الحج، وكان سماحته في حالة صحيّة صعبة، وقد جلس قبل صلاة الظّهر، وكان هناك مجموعة من المؤمنين اجتمعوا حوله يتزودون من كلامة العذب وحنانه الأبوي، عندها سأله أحد الإخوان الّذين يعيشون في أوروبا، وقال له: ماذا تنصح أولادنا وتنصحنا سماحة السيّد، فأجاب(ره): أنصحكم بأن تكونوا قدوةً للآخرين، وأن ينظر النّاس إليكم بعين الإجلال والاحترام، وأن يكون أولادكم المتفوقين في مجال الدّراسة، وأن لا يرضوا بالنّجاح فحسب.

حيدر عبد الله / العراق

على العهد باقون..

على العهد باقون يا سيدنا، على عهد الفكر الحر والتّحرر من أيّ قيد من حيث التّفكير والتفكّر.

على العهد باقون لأجل الإنسان، لأجل الحوار الجاد، للوصول إلى تلاقح الفكر بالفكر، والنّتيجة بالنّتيجة، لنصل إلى فكرٍ يخدم الإنسانيّة جميعاً بلا تمييز، خالية من الأحقاد والتّفرقة بين هذا وذاك.

على العهد يا سيّدي، وبحق مظلوميّتك، وإلى آخر رمق في حياتي، سأبقى مع فكرك الحر واجتهادك وفقهك وعملك الّذي خدم الجميع؛ خدم الإنسانيّة كلّها بلا تمييز.

على العهد ياسيدي..

إبراهيم أبوحيدر البحراني/ البحرين

رائد الوحدة الإسلاميّة

حـريّ بـي أن أكـون فـخـوراً عندما أكـون ممن يحبون سماحة المرجع السّيد فضل الله، ويحترمون أفكاره، مع العلم أنّني لا أتفق معه في بعض أفكـاره، إلا أنّ تجـارب البعض في هذه الحياة علّمتني كيف أحترم آراء الآخرين، حتى لو أنّني لا أتّفق معهم، فالاختلاف هو سنّة الحياة، وسماحة السيّد(ره) كان هذا رأيه من جانب الوحدة الإسلاميّة..

ما أريد أن أقوله أنّ اختلاف الرأي لا يفسد في الودّ شيئاً، لقد كان السيّد يمثّل الكثير لنا، وهذا ما جعله محبوباً عند الكثيرين، وعلينا أن لا نعيد تجربة الماضي، وأن لا نسقط بعضنا البعض حتى لا نكون طعماً سهلاً للعدو الإسرائيلي.

عبد المحسن آل إبراهيم

السيّد المثقّف

يعجز القلم عن التّعبير عما يجول في خاطري، لكن علينا أن لا نقف، وعلى عجلة الحياة أن تستمر، فقد تعلّمنا من فقيد الأمّة الإسلاميّة، سماحة العلامة المرجع السيّد فضل الله(ره) أن نحبّ الحياة، وأن نعلي كلمة «لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، ونحفظ الاسلام والرسالة.

لقد كان(ره) عالماً، بل كان الأعلم في نظري، ولقد منّ عليّ الباري عزّ وجلّ، أن أكون من صغار مقلّديه، ولي الفخر بذلك، وكان سماحته يلمّ بجميع الثّقافات؛ كان مثقفاً بكل ما للكلمة من معنى..

صحيح أنّ السيّد(ره) رحل إلى دنيا الخلود، ولكنّه ترك لنا إرثاً نفتخر به ونعتمد عليه.

أبو سلوان / السويد

سيّد الحوار.. والقائد

إخوتي وأخواتي، لا أصف حالي بعد رحيل السيّد إلا كاليتيم الّذي فقد أهله وذويه، وإلى هذه اللّحظة لا زلت أتجرّع مرار الفراق، فقد كان سماحته الأب والأخ والمربي والقائد لأجيال متعطّشة لرجل يؤمن بالحوار، ويستمع لمن هو أدنى منه مرتبةً وعلماً.. فقد كان على اتصال مباشر مع مقلديه في كلّ مكان، وكان المرجع الأوّل من ناحية حجم الاتّصال مع مقلّديه، لأنّه كان يعيش حياتهم، فهو منا ونحن إن شاء الله سنكون جزءاً من حياته واستمراريته، في فكره ومنهجه...

رسول علي- بغداد / العراق

فقيه زمانه، وسيّد عصره

في هـذه الظـروف الصعبة، كم نفتقد سماحة العلامة المرجع فضل الله، الذي كـان هـاديـا وقـائـدا لـلأمـة الاسلامية، والـذي انتشر فكره الاصيل في أصقاع الأرض، لما يمثله من تجديد ومعاصرة، ووعـي وانفتاح، لقد رحل السيّد، لمنه ترك لنا تراثاً كبيراً، نسأل الله ان ينفعنا وينفع الأمّة بعلمه، وزاد في أجره يوم لا ينفع مال ولا بنون.

إنّـه بحق فقيه زمـانـه، وسيّد عصره، وحجّة يقتدى به في زمن كثرت فيه الفتن والحروب، وقلّ فيه النّاصح الأمين.

محمّد العسكري/عنابة الجزائر

فجرٌ جديد

هزّي بتربك يا أرض واستقبليه
فقد أضاف الموت لفجرك فجراً جديدا
خذيه، ضمي الهوينى لمهده
لا توقظيه..
فقد أتعبه طول السّفر المديد
وإن أثقل العلم ساعديك
فألقيه في اليم
لن يدركه الغرق
ويصنع من مصلّاه أشرعةً
تسير برقّة أنفاسه
فتزيد سفن الحب رصيدا..
وإن غاب فجرك يوماً
فخذي أربعة من المعاني
خذي فكراً وحباً وإنساناً وورودا
ثم ادعهن باسم شمس العراق
ليكون فضل الله فجراً جديدا..

صالح جاسم آل إسماعيل/ السّعودية

مات قومٌ وما ماتت فضائلهم..

نعم يا سيّدي، رحل جسدك الطّاهر من الدّار الفانية، ولكن لم ترحل روحك الّتي أفاضت علينا من أنوار علمك وأخلاقك السّامية، وقد استمرّ نهجك البليغ المقتبس من نهج أهل البيت(ع) الّذين لطالما عرفتهم حقّ المعرفة، وعرّفتهم لنا كما كان ينبغي أن يعرّفوا.

نعم يا سيّدي، حقاً ينطبق عليك هذا القول: «قد مات قوم وما ماتت فضائلهم، وعاش قوم وهم في النّاس أموات». رحمة الله عليك يا فضلاً من الله حقاً.

زهراء/ العراق

مسؤوليّة حفظ النهج

رغم أنّ ما يمثّله رحيل السيّد فضل الله(ره) من خسارة كبيرة للمنهج المرجعي المجاهد والمنفتح، القادر على محاورة الأبعاد المختلفة لحركة الفكر الإنساني واستيعابها، من خلال ما كان يمتلكه من أفق إسلامي رحب وعقل منفتح شجاع مرتكز على أصول نقيّة متجذّرة في عمق البناء العقائدي والفقهي لمدرسة أهل البيت(ره)، إلا أنّه قد وضع اللّبنات الأساسية لهذا الصّرح الكبير الرّاسخ الّذي استلزم منه الكثير من الصّبر والألم والمعاناة لأزمته، حتّى اللّحظات الأخيرة من عمره الشّريف.

من هنا، تنطلق مسؤوليّة الأمّة ومفكّريها في رفد هذا البناء وتحصين أسسه والذّود عن حياضه، والانطلاق منه نحو آفاق أوسع، ومديات أبعد، لتقرّ عينا ذلك الفقيه العظيم الّذي اشتقنا كثيراً إلى إشراقة وجهه، وحضوره المبارك، رحمك الله تعالى أيها المرجع الكبير وحشرك مع أهل بيت النبوّة الأطهار(ع).

علاء آل جعفر/ الولايات المتّحدة الأمريكيّة

الشّعر في مفهومه ورسالته: دفقةٌ من شعاع الوحي

علي رفعت مهدي

يحمل كل شاعر، مفهومه الخاصّ للشّعر، وقد كان الشّعر في مفهوم سماحة العلامة المرجع، السيد محمد حسين فضل الله(ره)، واحةً للإنطلاق، ومنفذاً وجد السيّد (ره) نفسه فيه، منذ أيام نشاته الاولى في النجف الأشرف، بعيداً عمّا يثار في جامعتها من مسائل فقهيّة ـ دينيّة، وما فرضته تلك البيئة من عادات وتقاليد جعلت السيّد الشّاعر يرى في الشّعر إحساساً بالحياة، ودفقةً من شعاعٍ تنفث الوعي، وإنساناً ينفتح على وعي نفسه ووعي الكون والحياة.

يقول المرجع السيّد فضل الله(ره): «إنّ الشّعر يعني لي الإحساس بالحياة بطريقةٍ موسيقيّةٍ في الكلمة وفي الوزن وفي الاستغراق بجمالات الحياة».

لقد عَدّ الشّاعر الشّعر إحساساً بالحياة، لكنّه الإحساس المقترن بالموسيقى، سواء في الكلمة أو في الوزن، ولا شكّ في أنّ هذا يقودنا إلى ظاهرة «الرّمزيّة» التي يلتقي السيّد معها في الموسيقى، ويفترق عنها في وعي النّفس والحياة، «والشّعر هو الإنسان عندما ينفتح على وعي نفسه وعلى وعي الكون والحياة». فهل ينتمي السيّد إلى المذهب الرّمزيّ؟ لكنّه يبدّد لنا هذه المقولة، بأنّه ينفتح على وعي نفسه، لا بالإيحاء إلى بواطن النّفس وإثارتها.

ويَعُدُّ المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله(ره)، أنّ الشّعر ليس وسيلةً فحسب؛ بل لا بدّ من أن يرتبط بالواقع الّذي يعيشه الإنسان، ليكون الشّعر هو المحور الأساس في الحياة، خصوصاً أنّ انفتاح الإنسان على الكون والحياة والمجتمع، لا بدّ من أن يكون انفتاح الوعي والعقل، فمضمون الشّعر هو مضمون الحياة، يقول الشّاعر: «إنّ الشّعر لا بدّ من أن يحمل قضايا العصر، ونحن لا نؤمن بالشّعر التّقريريّ الخطابيّ، فالشّعر إذا لم يبن مجتمعاً في كلّ حاجات المجتمع الفنيّة والإبداعيّة والفكريّة والسياسيّة، فإنّه يكون بلا مضمون، لأنّ الشّعر إذا ابتعد عن مضمون الحياة، يصبح شيئاً لا معنى له».

يقول في قصيدة ذكرى الوصيّ:

ما قيمةُ الشّعرِ إن لم يَبْنِ مجتمعاً
حرّاً تسيرُ على منهاجِه العُصُرُ

إنّ الشّعر الّذي يجب أن يحمل قضايا العصر، هل هو شعر ملتزم؟ وإذا ما اقتصر الشّعر على بناء المجتمع في كلّ حاجاته، فهل ينفي السيّد المطلق الشّعريّ؟ وهل هناك تجارب إنسانيّة أو حياتيّة لا علاقة لها بالشّعر؟ انطلاقاً من أنّ الشّاعر أراد من فهمه للشّعر فهماً لمضمون الحياة والواقع.

يجيب السيّد: «أنا لا أؤمن بمسألة أن تفرض على الشّاعر التزاماً، فالشّعر مثل الماء والهواء لا تستطيع أن تعلّبه».

إنّ نفي السيّد مسألة الالتزام، لا تعني معارضة حمل قضايا العصر وبناء المجتمع، ولكنّه نفي لما يُفرض على الشّاعر، مما يفقده الإبداع والخصوصيّة والإحساس بالقضايا الإنسانيّة، فالسيّد يؤمن أن للفنّ غاية سامية:

غايةُ الفنّ أن نمدّ خيوطَ النّور في أفق ليلة ظلماء
ونحيلَ الدّربَ المعربَدَ دنيا من طيوفٍ عطريّة الأصداء
تتلاقى على أزاهيرها الخضر أغاني الحرّيّة السّمحاء
في ظلال من المحبّة ينهلُ بأعماقها نداءُ السّماء
حيثُ لا لفحةُ الأعاصير تضرى في دمانا.. ولا صدى البغضاء
غايةُ الفنّ أن نسيرَ ونستلَ صدانا من واقع الأرزاء
ونطوفَ الحياةَ.. بين الرّياح الهوج والكونُ سابحٌ بالدّماء
نبدعَ اللّهفةَ الطّروبةَ، في القلب، ونمحو مرارةَ البأساء
ونصوغَ الحنانَ للجيل تمثالاً.. لروح علويّة الأجواء
ونُغذّي حياتَنا بالرّبيع السّمح.. في ظلّ ربوةٍ خضراء
فالرّبيعُ الرّبيعُ.. ينبوعُ حُبّ يَغمرُ الأفقَ بالهوى والرُّواء

فللشّعر قيمة في بناء المجتمع «إذا نظرنا إلى المجتمع كمحورٍ إنسانيّ يحاول أن يتحرّك في الحياة، بشكلٍ يلتقي بها ويخدمها ويحتضنها ويعيش كلّ إيماءاتها وأوضاعها».

إنّ الشّعر ليس «سقط متاع» ومجرّد حالة هامشيّة عند المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله(ره)، وليس صنعةً كما عند الّذين لا يعيشون روح الشّاعر، فالشّعر الصّنعة يمكن أن يصدم الإحساس الأدبيّ والمعنى الإنسانيّ للحسّ الشّعري الّذي يفيض من العقل والوجدان، خصوصاً حيث تختلف التّجربة الشّعرية بين نتيجة العيش ونتيجة الصّنعة.

يتساءل السيّد، ويحدّد هويّة الشّاعر فيما يمثّل توجّه الإنسان الرّوحيّ والإنسانيّ: «هل يمكن أن تكون شاعراً تعيش الشّعر في عمق إنسانيّتك، ولا تتحسّس كلّ صرخات المشرّدين والجرحى والمستضعفين؟! إنّك عند ذلك لن تكون شاعراً، إنّما تكون إنساناً يرقص على إيقاع الكلمات، ولكنّه لا يعيش هزّة الشّعور من خلال الواقع الّذي يستطيع أن ينفصل الإنسان عنه، فإنّ الشّاعر يكون شاعراً عندما يملك صفاء إحساسه، ويملك إبداع فهمه لهذا الإحساس».

لقد تحدّث السيّد عن دور الشّعر والشاعر الذي يمثّل إنساناً يعيش واقعه فيتفاعل معه، ويعيش فنّه وتجربته، وينفتح على كلّ آلام الإنسان وأحلامه وتطلّعاته وقضاياه، ليجسّد المقولة الّتي أرادها السيّد: «الشّعر هو الإحساس بالحياة، بكلّ ما في هذه الحياة، وما يحيط بها». فالشّعر عنده تجربة إنسانيّة وجدانيّة، لا بدّ من أن تحمل مضموناً غنيّاً، ولا قيمة للشّكل في ذلك، لأنّه اعتبر أن المضمون يفرض شكل القصيدة وموسيقاها، والتّجربة الشّعريّة لا بدّ من أن تهزّ الإنسان وأن تثير فيه الانفعال. يقول السيّد: «عندما أقرأ بدر شاكر السيّاب، وحتّى صلاح عبد الصّبور ومحمد الفيتوري وآخرين من هذا التيّار، أحسّ بعمق التّجربة الفنيّة وامتدادها. لكن عندما أقرأ عبد الوهّاب البيّاتي، الّذي تكتب عنه الكتب والمقالات الكثيرة، لا أستطيع أن أهتزّ أو أنفعل أو أشعر بأيّة حالة تغيير في نفسي».

وإذا ما كان الشّعر تجربة وجدانيّة، فإنّ السيّد فضل الله(ره) لم يتكلّف الشّعر وتجربته، «لقد اختزنْتُ الحالة الوجدانيّة من خلال الأجواء الّتي كنْتُ أعيشُها، واختزنتُها في عمق إحساسي الطّفوليّ، ثم بدأتْ تتطوّر بالتأمّل والتّفكير وبالممارسة لتتحوّل إلى شعر، وكنْتُ لا أتكلّف هذا الشّعر، بل إنّني في كثيرٍ من الحالات، أشعرُ أنّه يفرض نفسه عليّ، حيث يكون موقفي أمامه موقف الإنسان الّذي يُسرع ليستعجل الكتابة حتى لا تفوته كلمة مما يسمع».

هل يعود بنا السيّد إلى وادي عبقر، أم أنّ الشّعر دفقة من شعاع الوحي الّذي لا إرادة للإنسان به؟ وإذا ما كان الشّعر عنده بهذه الرّؤية، فهل يعني أنّه لا بدّ في الشّعر من الصّدق؛ صدق التّجربة والمعاناة والتّعبير؟ وهل شعر بعمق تجربة السيّاب، وصلاح عبد الصّبور، ومحمد الفيتوري، انطلاقاً من فهمه للشّعر كتجربة وجدانيّة غنيّة بالمضمون الفكريّ؟

يقول في قصيدة له بعنوان: الشّاعر:

عاشَ مع النّهر.. يغنّي السّما روائعَ الإبداع.. من ربّه
حيرانَ يرنو في ظلال الأسى إلى ضفاف الفنّ في جنبه
تباركَ الشّاعرُ: كم نبعة دفّق منها الحبّ في شعبه
طافَ عليها حلمٌ غرّدَتْ أطيارُه.. تبحثُ عن قُربه
ورجّعَ الأفقُ صدى روحه فماجت النّعماءُ.. في تربه

نهضة الحق

من قصيدة لسماحة العلّامة المرجع السيّد محمد
حسين فضل الله رضوان الله عليه

هنا سُجِّلت للهدى صفحةٌ ... من الحق، ما خطها مرقمُ
تلاها على الكون سبط النبي ... فشع بها المنهج الأقــومُ
وأرسلها في الهدى دعوةً ... تبين الصواب بما ترقمُ
وشيّد صرح الهدى بعدما ... أزال قواعده المجرمُ
وعلّمنا كيف تفدى النفوس ... وكيف يموت الفتى المسلمُ
وكيف تُراق دماء الأبي ... تجاه العقيدة إذ تُهضمُ

هنا حيث يرقد سرُ الإلهِ ... وحيث الهدى، من أسىً، مفعمُ
ترى الحق كيف ارتقى واستطال ... فتعلم ما لم تكن تعلمُ
وتلمح في جنبات الضريح ... دماء الشهادة إذ تُلثمُ
وقد قام من حوله الزائرون ... ونار الأسى في الحشا تضرمُ
وقد عكفت حوله النائحات ... فهذي تضجّ وذي تلطمُ
فتحسبه كعبة المسلمين ... وكل فتى منهم المحرمُ

ويا نهضةُ خلدتها السنون ... ودار بها الفلك الأعظمُ
أعيدي على مسمع الكائنات ... حديث الأُباة وما قدّموا
عسى يعلم النفر الجاهلون ... بما استنكروه وما استعظموا
وما زعموا فيه أن الرواة ... قد أخّروا فيه أو قدموا
أعيدي فعندك فصل الخطاب ... وعندك يُستوضح المبهمُ

ويا سيّد النفر الناهضين ... تعاليت عن كل ما ينظمُ
وقُدسّتَ عن أي يحيط الخيال ... بذاتك خبراً ويستعلمُ
مثلتُ إليك أمام الضريح ... فلاح لعيني ما يؤلمُ
وقبّلت فيه دماً زاكياً ... أريق، وقد راح يستظلمُ
ورتلت ذكراك حيث ارتوى ... بها العقل والخاطر المبهمُ
ومرّت على خاطري الذكريا ... ت تُبين الحديث فيشدو الفمُ

لإعلاناتكم في بيئات الاتصال بالوكيل الحصري EW MEDIA هاتف: ٠٣/٨٧٧٢٠١ - ٠١/٤٥٣٣٨٠ | اخراج فني:سليم المقدم | طباعة: شركة DB UK 00961 1 546171 00961 3 336218